الألوهية
في
الديانة اليهودية

إعداد

د / بهاء عبد التواب سيد

الأستاذ المساعد فى قسم العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين أسيوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ..

فقد كانت الديانة اليهودية فى أصلها ديانة توحيد تقوم على التوحيد الخالص فلا يعبد إلا الله تعالى عما لا يليق بجلاله وعظمته فى ذلك شأن سائر الرسالات السماوية السابقة قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون "[١] ، وقال جل شأنه : " ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "[٢]

فقد كانت أولى الوصايا العشر التى أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام ــ (أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى)[٣]

ويتحدث الله فى التوراة مبيناً للناس وحدانيته تعالى فيقول : (أنا هو الرب وليس غيرى وليس دونى إله ، ليعلم الذين هم من مشرق الشمس ومن مغربها أنه ليس غيرى أنا الرب وليس آخر)[٤]

---

[١] سورة الأنبياء آية رقم ٢٥

[٢] سورة النحل آية رقم ٣٦

[٣] سفر الخروج إصحاح ٢٠ ، فقرة ١ ، ٢

[٤] أشعياء ٤٥ / ٥ ، ٦

فالله سبحانه وتعالى فى التوراة يعلن لعباده أنه إلـــه واحـــد لا يوجد إله سواه ولا يوجد معه إله ، فهو الله الواحد منذ الأزل إلى الأبد إلا أن هذه الدعوة ــ دعوة التوحيد ــ لم تبق على صفائها ونقائها فقد انحرف اليهود فى زمن موسى ــ وبعده ــ عـــن عبـــادة الله الواحـــد فأشركوا بالله غيره وعبدوا العجل وأصنام الشعوب الأخرى وصـــوروا الله فى صورة بشرية ونسبوا إليه صفات النقص والمماثلة للحـــوادث وافتروا من الأقاصيص الكاذبة ما جسم الألوهية وجسدها .

وأنهم لم يستقيموا على الطريقة ، ولم يتبعوا النور الذى أنـــزل إليهم ، وحرفوا التوراة وبدلوا من تعاليمها فمالوا عن الحق وحـــادوا عن الجادة . وكان اتجاههم إلى التجسيم والتشبيه والتعدد واضحاً فـــى جميع مراحل تاريخهم وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك .

ولما كان هذا الوضع هو السمة البارزة فى تاريخ اليهود مـــع عقيدتهم ، وليس فى هذا القول خروج عن الموضوعية فى البحث كما قد يظن ــ إنما هو الحقيقة التى يدركها كل باحث ويؤكدها كل بحـــث . أفردت هذا البحث لأبين ادعائهم وأفند زيفهم .

والله من وراء القصد والهادى إلى سواء السبيل

أولا : المقصود باليهودية :

ذهب ابن منظور فى لسان العرب تحت مادة (هود) إلى أن معنى الهود : التوبة ، هاد يهود هوداً وتهود : تاب ورجع إلى الحق فهو هاد .. والتهود : التوبة والعمل الصالح .. والهود : اليهود، وهاد ويهودا إذا صار يهوديا..

وقيل : إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون اى يتحركون عند قراءة التوراة[١] .

وجاء فى الكتاب المقدس ما نصه : أنهم (دعوا يهوداً من يهوذا ، أحد أسباطهم ، وتغلب هذا الاسم واشتهروا به لأن سبط يهوذا كان مزمعاً أن يكون له السؤدد والمجد فى إسرائيل ، لأنه عندما دنا يعقوب من الموت خاطب ابنه بهذه الكلمات)[٢] قائلاً : (يهوذا إياك يحمد اخوتك ، يدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو أبيك .. لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتى شيلون وتطيعه الشعوب)[٣] .

ويتضح من هذا النص أن يهوذا الموعود بصولجان مملكة اليهود ، ويهوذا أطلقت أصلاً على مملكة الجنوب التى كانت عاصمتها

---

[١] لسان العرب لابن منظور ج ١٥ ، ص ١٥٥ ، ط : بيروت طبعة أولى ١٤١٦ هـ ، الملل والنحل للشهرستانى تحقيق محمود سيد كيلانى ص ٢١٠ ، ٢١١ ط : بيروت دار المعرفة .

[٢] عبود القس بولس اليهود فى التاريخ إلى عهد المسيح ص ٥ ، ٦ ، ط ١٩٢٠ م .

[٣] سفر التكوين الإصحاح ٤٩ آية ٨ ، ١٠

(أورشليم) والتى وجد بمقابلتها مملكة إسرائيل (افرايم) وعاصمتها السامرة فى الشمال ، وفيها الأسباط العشرة ، وأما يهود فكان فيها يهوذا وبنيامين فقط[١] .

وعلى هذا الرأى تنسب اليهودية إلى يهوذا أحد أسباط بنى إسرائيل[٢] الاثنى عشر وهذا ما رجحه البيرونى[٣] وغيره ويهوذا هو الرابع من أبناء يعقوب وأمه ليئة ومنه ولد مسيح النصارى ، ومنه سيولد مسيح اليهود على زعمهم[٤] .

وقد كان (يهوذا) هو الحاكم لسائر أبناء أبيه الأحد عشر بتقديم أبيه له ، وظل كذلك حتى مات ، وكان سبطه من بعده هو المقدم على سائر الأسباط الأخرى إلى أن انقسمت مملكتهم بعد

---

(١) قاموس الكتاب المقدس . م س ص ٤٥٨ د / بطرس عبد الملك وآخرين بيروت طبعة ثانية ١٩٧١ م .

(٢) إسرائيل كلمة غير عربية وإنما هى عبرانية وتتكون من مقطعين : (إسرا) بمعنى عبد أو صفوة ومن (إيل) وهو الله وبذلك يكون معنى الكلمة عبد الله لكن الأرجح أنه عبد الإله وليس عبد الله لأن كلمة (إيل) معناها (إله) وليس الله ، ويطلق هذا الاسم على يعقوب عليه السلام وبعده عرف المنحدرون منه بالنسب بالإسرائيليين وبذلك فإسرائيل رابطة قرابة ونسب لا رابطة دين ولا رابطة مفتوحة للمنتسبين ممن يريدون وقد أطلق هذا الاسم فى التوراة على المملكة التى قامت فى فلسطين وحكمها شاؤل وداود وسليمان من حوالى ١٠٢٠ ق م حتى ٩٢٢ ق م ثم خص هذا الاسم بعد انقسام المملكة بالجزء الشمالى وكانت عاصمتها السامرة (انظر الموسوعة الفلسطينية م ١ ، م س ص ٢٣٨) .

(٣) تاريخ الملل والنحل الأستاذ أمين الخولى ج ٢ ص ٤ .

(٤) الحاج يوسف هيكل سليمان ص ٩٠ ، بدون تاريخ .

وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ إلى قسمين مملكة الجنوب ومملكة الشمال .

وعلى هذا القول فإن كلمة ٠ يهود) لا تطلق إلا على من كان من نسل يهوذا المذكور ، لكننا نلحظ أن القرآن الكريم أطلق كلمة (يهود) على هؤلاء الذين اتبعوا موسى وتابوا بعد اتخاذهم العجل ، ولاشك أنهم من أبناء إسرائيل الاثنى عشر جميعا الذين بعث إليهم موسى ـ عليه السلام ـ ولو أخذنا بما يقوله بعض الباحثين ـ كما سبق ـ من أن اليهود هم أبناء يهوذا لكان ذلك يعنى أن كلمة (يهود) يقصد بها جنس من الناس ويؤكد ذلك قوله تعالى على لسان اليهود والنصارى " قالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا)[1] .

ولذلك فقد اتسع مدلول هذه الكلمة (اليهودية) وعم إطلاقها على جميع المنتمين لهذه الديانة على اختلاف أصولهم وتنوع جنسيتهم ولغتهم فهى أعم وأوسع من كلمة عبراني[2] أو إسرائيلى .

---

[1] سورة البقرة آية ١٢٥ .

[2] كلمة عبرى ترجع إلى الموطن الأصلى لبنى إسرائيل وذلك أنهم كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بأبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمراعى وهى مشتقة من الفعل الثلاثى عبر بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادى أو النهر أو عبر السبيل : شقها وهى فى مجملها تدل على التحول والتنقل وقد رجح العلماء الثقات ومنهم العالمان السريانيان ابن الصليبى المتوفى سنة ١١٧١ م وابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م الرأى الأول وهو أن التسمية ناتجة عن عبور إبراهيم ـ عليه السلام ـ بهر الفرات وأيد ابن العبرى =

يقول الدكتور جواد على مؤيداً هذا المعنى : (ولفظة يهودا أعم من لفظة عبرانى أو إسرائيلى ذلك أن لفظة يهود تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممن دخل فى دين يهود وهو ليس منهم ، وقد أطلق الإسرائيليون وأهل يهوذا لفظة يهود على أنفسهم وعلى كل من دخل فى ديانتهم تمييزاً لهم عن غيرهم ممن لم يكن على هذا الدين وهم الغرباء)[١] .

إلا أن اليهود يفضلون التسمية بالإسرائيليين باليهود (لأن التسمية بيهودى لا تدل على فخر شخصى مثل كلمة إسرائيلى أو عبرى وإنما تدل على ذلة الشعب وخضوعهم لحكام البلاد التى سكنوها)[٢] .

ولهذا المعنى اعتبرت هذه الكلمة مقترنة بما لقوه فى السبى وبعد السبى من هوان وخراب وتدمير قضى على أمتهم وشرد البقية الباقية منهم فى أنحاء الأرض[٣] .

= قوله بالترجمة اليونانية (أكويلا) التى تترجم (العبرانى) بالمجتاز أو العابر ويؤكد هذا الرأى ما جاء فى سفر يشوع : (هكذا قال الرب إله إسرائيل فى غير النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبد آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر وسيرته فى جميع أرض كنعان) وهذا الرأى أقرب إلى الصحة من الرأى السابق (انظر تاريخ اللغات السامية ص ٧٧ د / إسرائيل ولفنسون) ، مجلة العربى الكويتية العدد (٩١) سنة ١٩٦٦ م ص ١٥١ ، سفر يشوع إصحاح الرابع والعشرون فقرة ٢ : ٣

[١] تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٩٥ ط : المجمع العلمى العراقى .

[٢] الكتب التاريخية د / مراد كامل ص ١٥

[٣] المجتمع اليهودى د / زكى شنودة ص ١١

ثانيا : المصادر العقيدية اليهودية :

يعتمد اليهود فى إثبات عقائدهم واستخراج شرائعهم وصياغة أفكارهم على مصدرين أساسيين هما :

المصدر الأول :

العهد القديم[١] : وهو التسمية العلمية لأسفار اليهود وليست التوراة إلا جزء من العهد القديم وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام ــ لأنه ابرز أنبياء بنى إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقى[٢] .

ويتكون العهد القديم من مجموعة من الأسفار لا تتساوى فى الطول وتختلف فى النوع كتبت على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة واعتماداً على التراث المنقول شفوياً[٣] .

---

[١] أطلق اسم (العهد القديم) فى العصور المسيحية على أسفار اليهود للتفرقة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون من أسفارهم التى أطلقوا عليها ام (العهد الجديد) ويراد بكلمة العهد فى هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً من عهد موسى والأخرى تمثل ميثاقا جديداً من عهد عيسى ، ويرجح أن اسم العهد القديم مستمد من رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٣ : ١٤ راجع الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام د / على عبد الواحد وافى ص ١٣ ط : نهضة مصر ، قاموس الكتاب المقدس إشراف بطرس عبد الملك وآخرين

[٢] اليهودية د / أحمد شلبى ص ٢٣٨ ط : مكتبة النهضة المصرية ط : سادسة ١٩٨٢

[٣] دراسة الكتب المقدسة موريس بوكاى ص ٢٣

وقد اختلف علماء اليهود والنصارى فى عدد هذه الأسفار إلى ما يأتى :

١ـ ذهب فريق إلى أن عدد الأسفار يجب أن يتفق وعدد حروف الأبجدية العبرية فهو لديهم اثنان وعشرون سفراً[١] .

٢ـ ويذهب فريق ثان من اليهود إلى أن عدد الأسفار تسعة وثلاثون سفراً إذ أنهم لم يلجأوا إلى إدماج الأسفار وإنما اعتبروا صموئيل والملوك وأخبار الأيام ستة أسفار بدلاً من ثلاثة ، وجعلوا مجموعة الأنبياء الصغار اثنى عشر سفراً بعد أن كانوا سفراً واحداً وبعد أن كان نحميا وعزرا يكونان يفراً واحداً قاموا بفصلهما واعتبار كل منهما سفراً مستقلاً بذاته[٢] .

٣ـ وذهب فريق ثالث إلى أن عدد الأسفار أربعة وعشرون سفراً ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام رئيسية[٣] هى :

أـ التوراة :

وأصل الكلمة عبرى ومعناها الهداية والإرشاد وتسمى بالشريعة وتسمى أيضا بالناموس ، وهى بمفهومهم منزلة على موسى عليه السلام من ربه .

---

[١] توراة اليهود بين أصول متشعثة وسعى إلى انعقاد ص ٣ بحث فى مجلة العربى عدد (١٥٧)

[٢] انظر تفاصيل هذه الأقسام فى التوراة عرض وتحليل ص ١٤ ، ١٥ حسن ظاظا ، والفكر الدينى أطواره ومذاهبه ص ١٢ ، فلسطين بين الحقائق والأباطيل مهندس أحمد عبد الوهاب ص ٢٢ مكتبة وهبة القاهرة ط : أولى ١٣٩٢ هـ .

[٣]

وتتكون التوراة من خمسة أسفار هى : سفر التكوين ويقع فى خمسين إصحاحاً ، سفر الخروج وهو فى أربعين إصحاحاً ، سفر اللاويين ويقال له كذلك سفر الأحبار ، وهو فى سبع وعشرين إصحاحاً وسفر العدد وهو فى ست وثلاثين إصحاحاً ، وأخيراً سفر التثنية أو سفر تثنية الاشتراع وهو فى أربع وثلاثين إصحاحاً .

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعب اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى ، وتستخدم حكاية هذه الأحداث كإطار لعرض التدابير الخاصة بالحياة الدينية والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى[1] .

ب ــ الأنبياء :

وهى أسفار منسوبة لأنبياء بنى إسرائيل جاءت فى مراحل زمنية مختلفة وترتيبها فى الكتاب المقدس لم يكن على أساس التسلسل التاريخى وهى :

١ــ أسفار الأنبياء الأولين : سفر يشوع ، سفر القضاء ، سفر صموئيل الأول ، سفر صموئيل الثانى ، سفر الملوك الأول ، سفر الملوك الثانى .

---

[1] دراسة الأديان المقدسة موريس بوكاى ص ٢٦ .

ج ـ الكتابات[١] : وتشتمل على أحد عشر سفراً وهى :

سفرا المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الأناشيد والمراثى وروشا واستير والجامعة ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأولى والثانية[٢] .

ومما تجد الإشارة إليه أن السامريين (وهى إحدى فرق اليهود) يقدسون الأسفار الخمسة فقط ويرفضون بقية أسفار العهد القديم وإن كانوا أحياناً يضيفون إليها سفر يوشع ، ويل : إن بعضهم يضيف سفر القضاة أيضا ، ويطلق على توراتهم التوراة السامرية وتوجد بينها وبين التوراة فروق تصل إلى ستة آلاف موضع[٣] .

فلقد بذر اليهود بذور الشك فى توراتهم منذ أن اختلفوا عليها وافترقوا بسبب هذا الاختلاف فقبل الصدوقيون من العهد القديم كتب موسى الخمسة ، ورفضوا ما عداها ولاسيما المأثورات المنقولة

---

[١] وتسمى أيضا كتاب الحكمة أو هيجوغرافيا وهى مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبى شعراً أو نثراً وبعضها يتضمن تراثاً من القصص والحكم تتناقل عبر الأجيال كما أن بعضها الآخر يتصل بالكيان السياسى والاجتماعى والدينى لليهود ويحتوى كثير منها على تمجيد لبطولاتهم فى الاستقرار فى فلسطين ، أو الرجوع إليها بعد السبى البابلى على يد الإمبراطورية الفارسية وتحت سيادتها د / ظاظا الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٥٣ .

[٢] هى أسفار تستعمل فى الأعياد اليهودية وقد وردت فى العهد القديم حسب مجئ الأعياد (انظر التوراة الهيروغليفية د / فؤاد حسنين ص ١٤) .

[٣] راجع حبيب سعيد المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٣٥ ، ٣٦ ، التوراة السامرية تحقيق / أحمد حجازى السقا ، ط : دار الأنصار ط : أولى ١٩٧٨ م ـ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٠ ـ ٤٥١ ، اليهودية د/ أحمد شلبى ص ٢٣٩ .

بالسماع ، وأضاف الفريسيون أسفار الأنبياء بعد موسى فقلبوها إلى جانب الأسفار الأولى[١] وتؤمن كذلك بأسفار التلمود التى ألفها فقهاؤهم وأحبارهم كما تختلف توراة السامرية عن التوراة التى بأيدى سائر اليهود . وهنا نتساءل هل الأسفار الخمسة المقدمة التى يزعم اليهود نسبتها إلى موسى ــ عليه السلام ــ هى التوراة التى أنزلها الله على موسى ــ عليه السلام ــ أم أنها نسبة خاطئة وباطلة ؟

وهل هى من وحى صحيح أم امتد إليها التحريف والتبديل والتغيير ؟ وأين هى التوراة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم قال تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل)[٢] .

إننا حينما نريد أن نقدم إجابة صحيحة عن هذا التساؤل علينا أولا أن نرجع إلى القرآن الكريم فعلى جبل طور سيناء كلم الله نبيه (موسى) وأوحى إليه التوراة شريعة لبنى إسرائيل ، وكتابا فيه هدى ونور لهم يوجههم ويهديهم ويرشدهم ويوضح لهم معالم طريقهم الدنيوى والأخروى . قال تعالى : (إنا نزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء)[٣] .

---

(١) انظر حياة المسيح فى التاريخ وكشوف العصر الحديث عباس العقاد ص ٤٧ ، ٥٨ ط : دار الهلال القاهرة بدون تاريخ .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٢ : ٣

(٣) سورة المائدة آية رقم ٤٤

وقال تعالى : (وكتبنا له فى الألواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ)[١] ، ولا شك أن التفسير القرآنى بـ (أنزلنا) و (كتبنا) يثبت التفرقة بين التوراة البشرية الموضوعة التى ما أنزل الله بها من سلطان وبين التوراة الإلهية التى لم يتطرق إليها تشويه أو افتراء .

وتشير التوراة الحالية أن موسى ـ عليه السلام ـ كتب هذه الأوامر وسلمها إلى اللاويين لحفظها فى تابوت العهد فى شيلون وأمرهم بقراءتها أمام كل بنى إسرائيل .

وهذه ما أكده سفر الخروج إذ يذكر أن موسى قد تلقى التوراة فى البداية مشافهة من ربه ثم سجلها كتابة بعد أن قرأها على قومه وأخذ منهم الميثاق على اتباعها وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الأحكام فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التى تكلم بها الرب نفعل ، فكتب موسى جميع أقوال الرب .. وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب ، فقالوا كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم على جميع الأقوال[٢] .

وعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها ، أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا : خذوا كتاب التوراة وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهداً

---

[١] سورة الأعراف آية ١٤٥ .

[٢] سفر الخروج ٢٤ / ٣ ـ ٤ ، ٧ ، ٨ .

عليكم ، لأنى عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى .

اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعكم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم "[١].

والأمر هنا ــ كما يقول الدكتور ميخائيل ــ واضح لا يحتاج إلى تعليق فالوصايا كتبها الله بخط يده ــ حسب زعمهم ــ والتعليمات ألقاها موسى مشافهة ثم سجلها كتابة ثم هو يدرى تماما نفسية قومه وفساد سرائرهم وما يحل بعد بهم موته وما يرتكبونه من معاصى وزيغ .

وينتهى الدكتور نجيب إلى القول بأن التوراة هنا شئ محدد المعالم وأنها مع ذلك ليست الشئ الذى يعرف اليوم بـ (العهد القديم) وإن كانت موجودة بداخله فى سفر التثنية[٢] .

وحينما تولى يسوع بن نون زعامة إسرائيل بعد وفاة موسى قام بتنفيذ هذا الأمر ، ومن ثم حفظ نسخة التوراة الوحيدة وأثناء الحرب مع الفلسطينيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة فى تابوت

---

[١] سفر التثنية : ٣١ / ٣٤ : ٣٠ .

[٢] مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣ ، ص١٧٧ د / نجيب ميخائيل إبراهيم ط دار المعارف مصر ١٩٦٤م .

العهد ... وبنتيجة الحرب استولى عليها الفلسطينيون واحتفظوا بـــها سبعة أشهر ضاع فيها أى ذكر للتوراة .

ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الـذى فقـد مـرة أخرى أثناء مصادرة القائد البابلى بنـــو خـذ نصـر بيـت المقـدس (٥٨٨قزم ــ ٥٨٦ق . م) وبعد خراب بيت المقدس ــ خرج المدعو عزرا[١] ، يزعم عثوره على الأسفار التى تمسك بها اليهود[٢] . وفـى عهد داود تم نقل التابوت إلى مدينته فى احتفال عظيم .

ولقد بين لنا القرآن الكريم أن التابوت لم يكن فيه إلا بقية ممـا ترك آل موسى وآل هارون وكان ذلك فى عهد شاول (طالوت) قـال تعالى (وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة مـن ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة)[٣] .

وعلى ذلك فالتابوت لم يكن به آنذاك سوى لوحى الحجر ، أمـا التوراة فلم يرد لها ذكر ولم يعلم مصيرها أحد وتفيد عبـارة الأسـفار أنها قد فقدت[٤].

---

[١] عزرا اسم عبرى معناه (عون) وهذا اختصار الاسم عزريا وعـزر الكـاتب كمـا يسمونه عاصر نحميا وكان لهما دور بارز فى العودة إلى القدس بعد السبى وذلك بعـد نجئ الحكم الفارس واليهود ويعتبرونه زعيم لهم بعد موسى الذى أخرجهم مـن مصـر ويعتبرونه أيضا مؤسس نظم اليهودية المتأخرة ولقبوه بالكاهن وبالكاتب ويوجـد فـى أسفار العهد القديم سفر باسم عزرا يؤرخ للوقائع التى كانت فى عصره (انظر قـاموس الكتاب المقدس م ، س ، ص ٦٢١) .

[٢] الموسوعة الفلسطينية م١ ، م ، س ص٥٨٩ ، ٥٩٠ ط بيروت ط أولى ١٩٩٠م .

[٣] سورة البقرة الآية رقم ٢٤٨ .

[٤] مصر والشرق جـ٣ ، ص ١٧١ .

وهذا ما أكده الشيخ رحمت الله الهندى قائلاً : (إن نسخة التوراة الموضوعة فى جنب الصندوق قد ضاعت ولا يعلم جزما متى ضاعت)[١] .

وقد اعترف بعض علماء اللآهوت من النصارى بفقدان توراة موسى قال : صاحب كتاب (خلاصة الأدلة السنية على صدق المسيحية) : (والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرهم والمرجح أنها فقدت من التابوت)[٢].

ولقد ادعى الحاخام حلقيا أنه رأى فى أثناء منامه النبى موسى وأنه أخبره بأن إسرائيل قد ضلت سواء السبيل وأن الكتاب الحقيقى الذى كتبه موسى بيده من كلمات الخالق موجودة فى المحل الفلانى من المعبد ، وعندما استيقظ وحفر فى المكان المذكور وجد كتابا فصدق الكل حتى الملك يوشيا ــ ادعاء هذا الحاخام وأخذوه مأخذ الحقيقة[٣].

ويرفض المحققون من العلماء والباحثين هذا الدعاء الباطل لأنه (من مخترعات حلقيا ، فإنه لما رأى توجه السلطان يوشيا إلى اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التى وصلت إليه

---

(١) إظهار الحق جـ٢ ، ص ٥٩٩ ، ط دار الحديثة القاهرة ، ط ثالثة ١٤١٤هـ .

(٢) انظر السيد محمد رشيد رضا تفسير المنار جـ٣ ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣م .

(٣) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ، ص ٢٥ من سلسلة الجمعية العراقية ١٩٦١م .

من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وإلى هذه المدة فى جمعها وتأليفها فيعد ما جمع نسب ما جمعه إلى موسى ــ عليه السلام ــ ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستبحات الدينية . عند متأخرى اليهود وقدماء المسيحيين)[١].

وإذا كانت التوراة التى أنزلها الله على موسى ــ عليه السلام قد فقدت وضاعت فبالتالى تنتفى نسبتها إلى سيدنا موسى ــ عليه السلام ــ وقد أثبت المحققون من العلماء والشراح المحدثون للكتاب المقدس الجامع للعهدين القديم والجديد ، أنه ليس لأى سفر من أسفار العهدين القديم والجديد سند متصل بحيث يصبح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو الرسل . مؤكدة (فلكى يكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبى الفلانى ، ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل .. وأنه لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى ــ عليه السلام ــ من تصنيفاته ويدل عليه أمور منها :

أولاً : إن سند هذه التوراة منقطع قبل زمان يوشيا بن امون[٢]، والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت هذه

---

(١) إظهار الحق ، جـ٢ ، ص ٦٠٤ ، ٦٠٥ تحقيق د / محمد أحمد مكاوى طبع ونشر الرياض ١٤١٠هـ .

(٢) يوشيا بن امون واحد من ملوك اليهود حكمهم من سنة ٦٤٠ إلى سنة ٦٠٩ق م ، أى بعد موسى بستة قرون تقريبا .

النسخة ــ أيضا ــ غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفى حادثة انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم عن صفحة العالم رأسا[١] ، وإذا ثبت ذلك فبالتالى يثبت تحريفها وأنها مبدلة . (وأنها عبارة عن تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرص بجهلة أو تعمد بفكره ، وأنها أيضاً غير منزلة من عند الله تعالى لوفاة موسى عليه السلام ولم يعرف قبره آدمي إلى اليوم)[٢] .

ثانياً : أنها مليئة بالأغلاط والأخطاء التاريخية والتناقضات بين نصوصها (وقد ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكم وتشاريع والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها ــ ظهر لهم من ملاحظة هذا كله ــ أنها قد ألفت فى عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير)[٣] .

وهذا ما دفع أوربيل اكوستا (١٥٨٥ ــ ١٦٤٠م) إلى القول : باتهام الأحبار بتحريف عقيدة موسى وشكه فى صدق نسبتها لله أو صدورها عمن صدرت عنهم بإلهام من الله وذلك للتناقض الواضح بين نصوصها ، ولكن الأحبار تألبوا عليه ، فقاموا بإحراق

---

(١) الفصل لابن حزم ، جـ١ ، ص١٨٦ تحقيق د / عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل ــ بيروت .

(٢) إظهار الحق رحمت الله الهندى ، جـ١ ، ص ٥٦ .

(٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص٥٨ ، ط مكتبة الوحدة المغربية بالمغرب .

كتاباته واستنزلوا عليه اللعنات فعاش منبوذا حتى من أقرب أقربائه فى عزلة قاتلة[١] .

ثالثاً : يذهب سبينوزا إلى أن الأسفار الخمسة وما بعدها من أسفار إذا نظرنا إلى تسلسلها ومحتواها رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة ، ويرى أن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد[٢] .

أما من هو الذى المؤرخ فإن سبينوزا لا يستطيع أن يحدده بوضوح وإنما يرتاب فى أن يكون عزرا[٣] وهذا ما أكده ابن حزم أثناء عرضه لحال التوراة عند بنى إسرائيل من بعد موت موسى إلى رجوعهم إلى بيت المقدس حتى كتبها لهم وأملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهارونى[٤] . ومعه طائفة من الكهنة يعملون تحت يده وهو يقوم بالإشراف عليهم والإرشاد لهم .

وأما موريس بوكاى فيقول عن الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد : (ويبلغ عدد الكتاب الملهمين الذين كتبوا الكتاب المقدس

---

[١] انظر الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، ص ٥١ ، ٥٢ . د / عبد المنعم الحفنى ط مكتبة مدبولى القاهرة أولى ١٩٨٠م .

[٢] رسالة فى اللاهوت ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ترجمة د / حسن حنفى ط دار وهدان للطباعة والنشر بدون تاريخ .

[٣] المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

[٤] الفصل لابن حزم ، جـ١ ، ص ١٨٧ ، ١٩٧ .

أربعين كاتبا وهم من جميع طبقات البشر ، بينهم الراعـــى والصيـــاد وجابى الضرائب والقائد والنبى والسياسى والملك)[١] .

لهذا نرى أن سند التوراة الحالية منقطع وأنها كتبـــت بـــأقلام بشرية متعددة موسى بأزمنة مختلفة فمن الخطأ نسبتها إلـــى ســـيدنا موسى ــ عليه السلام ــ (لأنها ليست التوراة التى صنفها موسى ولا التى كتبها عزرا بل الحق أنها مجمـــوع مـــن الروايـــات والقصـــص المشهرة بين اليهود جمعها أحبارهم فى هـــذا المجمـــوع بـــلا تنقيـــد الروايات)[٢] .

وهذا يثبت تسليمهم بالتحريف ومعلوم أنه متى دخل فى نـــص من النصوص ، واختلط الأصل بالمحرف ، تعذر التمييز بيـــن الأصـــل والمحرف وبخاصة إذا فقد الأصل كله السند المتصل ، الأمـــر الـــذى ينزع الثقة من أساسها .

وصدق الله إذ يقول : (فويل للذين يكتبوا الكتاب بأيديـــهم ثـــم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم ممـــا كتبـــت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)[٣] .

---

[١] التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ط سنة ١٣٩٨هـــ ، دار الكندى ط أولى ١٩٧٨م .

[٢] إظهار الحق رحمت الله الهندى ، جـــ١ ، ص٣٥ نقلا عن الأديـــان فـــى القـــرآن ، ص ١١٧ ، د / محمود بن شريف ، ط مكتبة عكـــاظ للنشـــر والتوزيـــع ، ط خامســـة ١٤٠٤هـــ .

[٣] سورة البقرة آية رقم ٧٩ .

فقد حتم القرآن الكريم وهو القول الفصل بأن التوراة المتداولة الآن قد أصابها التحريف والتبديل والنسيان والإخفاء فهى ليست التوراة الأصلية ذات التعاليم المقدسة والشريعة الربانية ، بل هى توراة مزيفة فيها القليل من الحق والكثير من الزيف . ولهذا لا يستطيع المسلم أن يقبل ما يسمى توراة بأيدى اليهود اليوم على أنها وحى الله إلى موسى ، بل هى شئ آخر أعملت فيه الأيدى بالتغيير والتبديل والإضافة حسب الأهواء التى كانت توجه أصحابها .

المصدر الثانى : التلمود :

إن الدارس لمصادر العقيدة الدينية اليهودية عبر مراحل التاريخ يلحظ بوضوح فكراً أخلاقياً ومعتقداً دينيا وسلوكاً تطبيقياً فى الحياة العامة يرتبط بمصدر دينى مكتوب ومسجل يضاف إلى قداسة المصدر الدينى المعتقد المسمى بالعهد القديم ، وهذا المصدر هو التلمود الذى اكتسب فى نفوس اليهود على المدى الطويل قداسة وأهمية تفوقان كل مقدس وكل تصور .

وكلمة التلود عبرية معناها : (التعليم)مستخرجة من كلمة (لامود)[1] والتلمود بصورة عامة : هو جملة من القواعد والوصايا والشرائع والتعاليم الدينية والأدبية والشروح والتفاسير والروايات المتعلقة بدين وتاريخ وجنس إسرائيل على مدى التاريخ ، وكانت هذه

---

[1] التراث اليهودى الصهيونى ، د / صبرى جرجس ص ٨٨ ، ط عالم الكتاب القاهرة ١٩٧٠م .

التعاليم والقواعد والوصايا والشرائع تتناقل وتدرس مشافهة من حين لآخر .

ولما تعاظم شأن هذه التعاليم فى نفوس الجماعات الإسرائيلية واليهودية عبر التاريخ وكثرت هذه التعاليم كثرة شملت كل تاريخ وحياة وعقيدة قرر كبار الحاخامات من رجال العقيدة اليهودية أن يسجلوا هذه التعاليم خوف فقدانها أو نسيانها أو اختلاط أمورها بعضها والبعض الآخر[١] .

وقيل : إن السبب فى نشأته ــ أيضاً ــ أن رجال اليهودى قرروا أن شريعة موسى لم تكن مقصورة على النصوص المدونة فى الأسفار الخمسة ، بل تضمنت أيضا شريعة شفوية انتقلت من المعلمين إلى تلاميذهم جيلاً بعد جيل مع كان يضاف إليها من زيادات وتعديلات[٢] .

وقد اختلف اليهود حول ما إذا كانت هذه الشريعة هى الأخرى من عند الله ثم انتهى الأمر باليهود إلى قبول الرأى الذى ينادى به الفريسيون[٣] مع أنها مع الأسفار الخمسة شريعة مقدسة ينبغى التمسك بها والعمل بمقتضاها[٤] .

---

(١) التاريخ اليهودى العام ، د / صابر طعيمة ، جـ٢ ، ص ١٠٨ ، ط دار الجيل بيروت ط ثانية ١٤١١هـ

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت ، جـ٣ من المجلد الرابع ، ص ١٠ ، فضائح التلمود إعداد زهد الفائح ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ط دار النفائس بيروت ، ط ثالثة ، ١٩٨٥م .

(٣) انقسم اليهود إلى خمس فرق هى : ١ ــ الفريسيون . ٢ ــ الصدوقيون . ٣ ــ السامريون . ٤ ــ الحسديون . ٥ ــ القراءون . (انظر تفاصيل ذلك فى الأسفار المقدسة ، د / على عبد الواحد وافى ، ص ٦٢ : ٧٥ .

(٤) التراث اليهودى ، د / صبرى جرجس ، ص ٨٨ ، ط عالم الكتب ، ط أولى ١٩٧٠م

ويعلم من هذا أنه إلى جانب العهد القديم فأن هناك مصدراً آخر لمعتقدات اليهود لا يقل فى مكانته وأهميته عن العهد القديم بل يفوقه عند بعض اليهود إنه التلمود الذى اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم وتسلطهم على المجتمع ، ومن هنا ابتدع هؤلاء قوانين أخرى مروية عن موسى عليه السلام ــ غير المدونة فى التوراة وسموها بالقانون الشفهى . ولا يعرف على وجه التحديد التاريخ الذى تم فيه تدوين التلمود ويرجح بأن عملية تدوين التلمود قد بدأت مع بداية عملية تدوين التوراة فى بابل فى القرن السادس قبل الميلاد وظلت ممتدة بعد رجوع اليهود من الأسر البابلى سنة ٥٣٩ ق . م .

ويقال بأن الحاخام (يوخاس) هو أول من جمع التلمود فى كتاب وأنه قد سماه المشنا ، ثم زيدت عليه فى القرون اللاحقة متون وحواشى وشروح كثيرة وهو ما يعرف بالجمارا ، فالتلمود إذن مقسم إلى قسمين[١] :

١ ــ المشناة :

وهو الأصل (المتن) ومعنى المشناة : التكرار أو الشريعة المكررة لأن شريعة موسى المعروفة فى الكتب الخمسة وردت مكررة فى هذه المشناة مع توضيح وتفسير ما التبس منها[٢] . وهى عبارة

---

[١] الأسفار المقدسة ، ص٢٤ ، د / على عبد الواحد وافى ط نهضة مصر .

[٢] التلمود تاريخه وتعاليمه ظفر الإسلام خان ، ص ١١ ، ط دار النفائس بيروت ط ثانية .

عن مجموعة من التعاليم والقوانين الدينية والمدنية والسياسية التى أقرها أحبار اليهود فى العصور المختلفة[١] والمروية على الألسنة والتى كان اليهود ــ وما يزالون ــ يعتبرونها مصدراً من مصادر التشريع ، وهى لا تقل عن التوراة والفارق الوحيد هو زعمهم أن التوراة نزلت على موسى مكتوبة وأطلقت عليها تسمية (الناموس) وأودعت تابوت العهد ، بينما (المشنا) شريعة منزلة لكن موسى ــ عليه السلام ــ حملها ونقلها شفويا وبقيت كذلك يتناقلها الحاخامون إلى حين تم تدوينها .

وهى مقسمة إلى عدة أقسام ، منها ما يختص بالزراعة ، ومنها ما يختص بالصلاة والدعاء ، ومنها ما يختص بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث ، ومنها ما يختص بالأحوال المالية والقرابين والذبح والختان والطهارة وما إلى ذلك[٢] .

٢ ــ الجمارا :

وهى القسم الثانى من التلمود ومعناها : الاستكمال فهى عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة (المشناة) فيما يعد بقصد استكمالها[٣].

وهى ليست واحدة كما هى الحال بالنسبة للمشناة ومن ثم فقد أطلقوا على الشروح التى أضافها أحبار فلسطين إلى المشناة اسم

---

(١) انظر الكنز المرصود ، ص ٤٧ . ترجمة د / يوسف نصر الله ط دار لعلوم بيروت ط أولى ١٩٨٧م .

(٢) جذور الفكر اليهودى ، ص ٩٢ .

(٣) التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص١١ لظفر الدين خان ط دار النفائس ط ثانية ــ بيروت

التلمود الورشليمى ، وكان يهود العراق يسمونه أيضا بالتلمود الغربى بحكم وجود فلسطين فى الناحية الغربية من العراق ، كما أطلقوا عليه اسم تلمود أرض إسرائيل[١] .

وأطلق على الشروح التى أضافها أحبار بابل على المشناة اسم التلمود البابلى أو التلمود الشرقى وسمى بذلك تذكيراً بقوة البحث الدينى فى العراق منذ السبى البابلى على أيام بختنصر ، ولأن العراق كانت منذ ذلك الوقت تسمى عند اليهود بابل .

ويعد التلمود البابلى أعظم مكانة عندهم من التلمود الأورشليمى والسبب فى ذلك كما يرى الدكتور حسن ظاظا : (وإذا كان التلمود البابلى يغطى بشرحه كل نص المشنا ، فإن التلمود الأورشليمى ظل ناقصا لا يشرح إلا بعض المشنا فقط ، ثم أن أحبار اليهود فى بابل كانوا أيضا يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر فى الفكر اليهودى مما كان حظى به شراح فلسطين ، بحيث بقى التلمود البابلى بعد ذلك يتمتع بتقدير أعظم فى أعين اليهود من التلمود الغربى الأورشليمى[٢].

وقد ظهر التلمود مطبوعا لأول مرة فى كتاب من أثنى عشر مجلدا فى البندقية عام ١٥٥٠م ثم توالت بعد ذلك طبعات عدة حذف منها الكثير من العبارات البذئية وترك مكانها شاغرا .

---

(١) انظر الفكر الدينى ، د / حسن ظاظا ، ص٨٣ ط دار القلم دمشق ط ثانية ١٤٠٧هـ

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

القداسة الدينية للتلمود :

يكاد يكون بدعاً بين الأمم والشعوب بل أنها ظاهرة شاذة فى تاريخ العقيدة الدينية أن تتحول الاجتهادات والتفاسير والتعاليم والشروح التى ذكرها رجال الكهانة الدينية اليهودية إلى درجة التقديس بحيث تفوق فى أهميتها وقداستها والتعلق بها المصدر الدينى الأم (التوراة) فقد اصبح حظها من التعلق بها والارتباط بها أقل بكثير من التلمود يؤكد ذلك أقوال الحاخامات قال أحد الحاخامات : إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله) وقال غيره : (اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء)[١] .

ولقد بلغ الغباء الدينى والتعصب العنصرى عند القوم ذروته وهم يسجلون (أن التعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله وقد وقع الاختلاف يوماً بين الله ــ تعالى الله عن ذلك ــ وبين علماء اليهود فى مسألة وبعد أن طال الجدل تقررت إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات الربيين واضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور .

ويقول الرابى مناحم وهو من كبار الحاخامات ك إن الله (تعالى سبحانه وتنزه عن ذلك) يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها فى السماء وأنه يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفاف إلى شريعة موسى[٢] .

---

[١] الكنز المرصود ، ص ٥٠ .

[٢] التاريخ اليهودى العام ، د / صابر طعيمة ، جـ٢ ، ص ١١١ ، ١١٢ ، الكنز المرصود ، ص ٥٠ .

وهذا الموقف قد انفرد به اليهود دون سائر حملة الرسالات فليس من المعقول أن يكون الفرع أثبت وأفضل من الأصل ، ومهما يكن من أمر فإن التلمود اليوم يشكل عند اليهود كتاباً مقدساً يحوى نظام معاملاتهم ، ويعبر عن عنصر يتهم وعدائهم الشديد للمسيحية[١] وللشعوب جميعاً ، وبذلك يصبح عندهم فى الحقيقة والواقع كتابان مقدسان لا كتاب واحد : العهد القديم ــ والتلمود .

وأود أن أنبه إلى أن اليهودية الحالية لا تعتبر دينا سماويا منزلا من عند الله على نبيه موسى ــ عليه السلام ــ وذلك لأن الدين واحد من لدن آدم ــ عليه السلام ــ إلى مبعث محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى يوم الدين واتباع الديانات السماوية كلهم اتباع ملة حنيفية واحدة قال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام)[٢] .

---

[١] ولهذا السبب هو جم التلمود بشدة باعتباره مصدر الشر الكامن لليهود ، وقد حمل الملوك والباباوات حملات شديدة ضده منذ القرن الثالث عشر ، فقد أحرقت نسخ التلمود لأول مرة فى فرنسا سنة ١٢٤٤م فى باريس وصدرت الأوامر بإتلاف نسخة فى عهد لويس فى سنة ١٢٢٦م حتى ١٢٧٠م ، كما حدث ذلك فى إنكلترا أيضا سنة ١٢٩٠م حين أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد وفى سنة ١٥٦٥م أصدر البابا بيوس الرابع أمرا : أنه يجب حرمان التلمود حتى من اسمه ، وهاجم مجلس المدينة فى بولندا عام ١٨٤٠م التلمود بأنه مصدر احتقار اليهودية للدين المسيحى وما فيه من عداء للمسيحية واتهامات وافتراءات على المسيح وأمه مريم عليهما السلام وحمل كل معانى الرفض للمسيحية ، إضافة للعداء الذى حمله لكل الناس من غير اليهود الذين يطلقون عليهم (النوييم) ويعدونهم أشبه بحيوانات على هيئة بشر أوجدهم الرب ليكونوا مسخرين لشعب الله المختار لهذا كله كان التلمود مصدر متاعب وإشكالات لليهود فى أوربا طوال القرون الوسطى رغم حذفهم بعض العبارات والنصوص (انظر ظفر الدين خان ــ التلمود تاريخه وتعاليمه) ، ص ٢٤٠ .

[٢] سورة آل عمران آية رقم ١٩ .

فوصف الإسلام ليس منصبا على كل من آمن بدعوة محمد فى عهده أو من بعده فحسب بل هو وصف ولقب أطلقه الله من قبل على كل من آمن برسوله الذى بعث فى زمنه وبكل من وحد ربه وأسلم وجهه وقلبه وأمره كله لله رب العالمين .

يؤيد هذا المعنى العلامة محمد عبد الله دراز قائلاً : (الإسلام فى لغة القرآن الكريم ليس اسماً لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء)[١] وقد أخبرنا الله بذلك فى كتابه الكريم بذلك قال نوح : (وأمرت أن أكون من المسلمين)[٢] وقال إبراهيم : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)[٣] ، (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)[٤] ، وقال تعالى عن يوسف : (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)[٥] ، وقال موسى : (يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمون)[٦] ، وقال حواريو عيسى : (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله أمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون)[٧] ، وأيضا

---

(١) الدين محمد عبد الله دراز ، ص ١٨٣ ، ط السعادة ١٩٦٩م .
(٢) سورة يونس آية رقم ٧٢ .
(٣) سورة البقرة آية رقم ١٢٨ .
(٤) سورة البقرة آية رقم ١٣٢ .
(٥) سورة يوسف آية رقم ١٠١ .
(٦) سورة يونس آية رقم ٨٤ .
(٧) سورة آل عمران آية رقم ٥٢ .

قال محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (وأمرت أن أكون من المسلمين)[١].

وروى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (نحن معاشر الأنبياء أبناء علات) يريد : أننا كأبناء أمهات مختلفات ، ثم يبين ذلك بقوله : (ديننا واحد وشرائعنا مختلفة)[٢] .

فدين الله واحد إلى يوم الدين وهو الإسلام ملة الأنبياء جميعا وإن اختلفت شرائعهم ، فإذا كانت الكتب السماوية من ركائزها الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان باليوم الآخر ، وقد خلت اليهودية الحالية من هذه الركائز وتوغلت فى المعاملات فحسبت الإله وتطاولت على مقام الأنبياء فهى إذن ليست ديانة سماوية منزلة من عند الله .

وهذا (ما أجمع عليه معظم علماء الأديان بس فيهم اليهود فهى بو سعها التالى غير الدين الذى جاء به النبى موسى ــ عليه السلام)[٣] .

وبذلك تكون اليهودية عبارة أطلقت على الطقوس الدينية التى كان يمارسها سكان مملكة يهوذا الذين سبوا من أورشليم إلى بابل عام ٥٨٦ق . م ، وأن هذا الاسم قد أطلق فى المنفى أى فى بابل فقط حيث

---

[١] سورة الزمر آية رقم ١٢ .

[٢] أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى : (واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، فتح البارى ٦ / ٤٧٨ ط دار المعرفة بيروت وأخرجه أحمد فى المسند ٢ / ٤٠٦ .

[٣] التوراة تاريخها وغايتها ، د / سهيل ديب ، ص٦ ، ط دار النفائس بيروت ط ثانية ١٩٧٧ .

لم يكن يعرف قبل ذلك التاريخ ، وأنها عبارة ليست ذات مدلول فحوى إنما هى جغرافية صرفة مثل عبارة (الدين الهندوكى) أى الدين المتتبع فى الهند[١] .

ويذكر صاحب تفسير المنار : (إن اسم اليهودية حدث بعد موسى واسم النصرانية حدث بعد عيسى ، وأنه قد حدث لليهود تقاليد كثيرة صار مجموعها مميزاً لهم حيث أضافوا التلمود إلى ما عندهم من الأسفار وسموا مجموع ذلك من تفاسيره وآراء أحبارهم فيه باليهودية)[٢].

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وهو المصدر الصحيح الجدير بالاعتماد والثقة فأننا نجده ينص على عدم الاعتراف باليهودية ومن ثمة لم يرتضها دينا لأنبيائه ورسله قال تعالى : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين)[٣]

فقد صرخت هذه الآية ببراءة إبراهيم ــ عليه السلام ــ من كل دين ــ يخالف دين الوحدانية ونفت عنه صفة اليهودية والنصرانية وهذا النفى فيه تنزيه له عن أن يتصف بما عليه هؤلاء من تحريف وتجسيم وبعد عن الحق . فمن الخطأ الفادح أن تكون اليهودية فى

---

(١) أصول الصهيونية فى الدين اليهودى ، د / إسماعيل الفاروقى ، ص١ نشر معهد الدراسات الشرقية العالية ١٩٦٤م .

(٢) انظر تفسير المنار ، جـ١ ، ص ٤٨١ ، ٤٨٩ ، محمد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٦٧ .

أصلها دين سماوى منزل من عند الله تعالى لأنها غيرت وبدلت وحرفت نصوصها وتحول اتباعها إلى الشرك .

وليس غريباً ــ إذن ــ أن يوصف الكفر بأنه دين ، وإن كان باطلا وأن يوصف الإلحاد بأنه عقيدة وإن كانت باطلة ، وفى هذا المعنى يقول الماوردى : (الكفر تدين بباطل والإيمان تدين بحق ، وكلاهما دين معتقد ، وإن صح أحدهما وبطل الآخر)[١] .

ويقول ابن تيمية ــ رحمه الله ــ : (وأطيب الكلام والعقائد كلمة التوحيد ، واعتقاد أن لا إله إلا الله ، واخبث الكلام والعقائد كلمة الشرك ، وهو اتخاذ إله مع الله)[٢]، ومن قبل قال القرآن : (لكم دينكم ولى دين)[٣] .

ثالثاً : الذات الإلهية فى نظر اليهود :

لم يحاول المسلمون عامة أن يخوضوا فى البحث عن حقيقة الذات الإلهية أو ماهيتها لإدراكهم أن ذلك أمر يعجز عنه العقل الإنسانى ، ولا يمكنه بلوغ الأرب منه ، إذ أن له مجالاً يستطيع أن ينتج فيه ن وهو العالم الطبيعى ، أما ما وراء الطبيعة فالعقل قاصر عن إدراك شئ منه ،بل أنه لا يدرك من حقائق العالم الطبيعى إلا ظواهر وأعراضها بينما يعجز عن اكتناه حقائقها ، وإذا عجز العقل عن اكتناه ابسط الأشياء فى العالم المادى فإنه بالتالى أعجز عن اكتناه

---

(١) الماوردى ص

(٢) العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص٥٤ .

(٣) سورة الكافرون آية رقم ٦ .

أو أدرك حقيقة الذات الإلهية ، ومن هنا كان توجيه النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلى الله عليه وسلم ــ لنا بقوله : (تفكروا فـــى آلاء الله تعالى ولا تفكروا فى ذات الله)[1] وذلك لأن العقول تعجز وتقصـــر عن إدراك ماهيته تعالى وحقيقته . لذا لم تتعرض آيات القرآن الكريـم لبيان كيفية الرب سبحانه ولم يوضح لنا القرآن الكريم ما كنه ذاته وما حقيقتها وإنما كانت كل آيات القرآن التى تحدثت عن الله تعالى تـــدور بين إثبات الكمال لله ونفى النقص عنه ، ولم نجد آية واحدة بينت لنـــا كنه ذاته أو حقيقتها ، بل نجد فى القرآن ما يفهم منه أن السؤال عـــن كنه هذه الذات أو حقيقتها غير مرغوب فيه .

وقد يقال تقتصر العقول والإفهام عن معرفة الله وهـــو أظـــهر الموجودات وأجلاها .

وقد أجاب الإمام الغزالى رحمه الله عن هذا التساؤل فقال : عن وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد لـــه كـــل مـــا نشـــاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة ، وأن جميع ما فى العالم شـــواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، ولما لم يبق فى الوجود شئ إلا وهو شاهد ومعرف لـــه ، عظـــم ظـــهوره سبحانه فانبهرت العقول ودهشت من إدراكه ثم قال موضحاً علة هـــذا التصور :

---

[1] ذكره السيوطى فى جمع الجوامع وعزاه لابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر وعزاه أيضـا لأبى الشيخ فى العظمة وعزاه لابن عدى وعزاه إلى البيهقى فى شعب الإيمان وعـــزاه للأصفهانى وأبو النصر عن ابن عمر ، ص ٤٧٧ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

وما تقصر عن فهمه عقولنا سببان :

أحدهما : خفاؤه فى نفسه وغموضه ، وذلك لا يخفى مثاله .

ثانيهما : ما يتناهى وضوحه .

إن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا لخفاء النهار واستتاره ، ولكن شدة ظهوره ، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت ، فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع إبصاره فلا يرى شيئاً إلا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره . فكذلك عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الإلهية فى نهاية الإشراق . والاستنارة وفى غاية الاستغراق والشمول ... حتى لم تشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض ، فصار ظهوره وسبب خفائه ، فسبحان من احتجب بإشراق نوره ، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ، فهذا هو السبب فى قصور الأفهام[١] .

ومن هنا أدرك المسلمون أن كل تحديد لله أو تعيين لماهيته فيه بعد عن الصواب وهذا المعنى قد التزم به النبى موسى ــ عليه السلام ويظهر ذلك بوضوح حينما سأله فرعون عن حقيقة رب العالمين قال تعالى : (قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)[٢] .

ومن المعروف أن صيغة السؤال (بما) تعنى السؤال عن الكنه والحقيقة فإذا قيل مثلاً ، ما الإنسان ؟ بمعنى ما حده وما كنهه .

---

[١] انظر إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، جـ١ ، ص ٥٧ .

[٢] سورة الشعراء آية رقم ٢٣ ، ٢٤ .

فيقال فى الجواب : إنه حيوان ناطق فيؤخذ فى بيان كنه الإنسان وتوضيح حقيقته أمران لابد منهما :

الأمر الأول : اعتبار الجنس الذى ينتمى إليه الإنسان وهو الحيوان .

الأمر الثانى : اعتبار صفة ما يختص بها الإنسان دون سائر أنواع الجنس الذى ينتمى إليه وهى صفة الناطقية : وبدون هذين الأمرين لا يكون هناك بيان لحقيقة الإنسان ولا كنهه ، وإنما يصح بيان حقيقة الإنسان هنا لأن له جنساً ينتمى إليه وهو الحيوان ، والأمر بالنسبة لله يختلف تماماً فهو سبحانه كما أخبر عن نفسه (ليس كمثله شئ) فكيف يكون له جنس ينتمى إليه حتى يصح أن يقال : (ما رب العالمين) ورسل الله هم أعلم بالله وبصفاته .

ولقد أدرك نبى الله موسى ما فى سؤال فرعون من لبس وخطأ فأعرض عن الإجابة عن السؤال المطلوب به بيان الكنه والحقيقة لقصور العقل عن معرفة ذلك وأخذ يوضح لفرعون صفات الرب بأنه خالق السموات والأرض وما بينهما .

يقول الإمام البيضاوى فى تفسيره لهذه الآية : (عرفه بأظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والفعال وإليه أشار بقوله : (إن كنتم موقنين) ولهذا قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله ، ويزعم أنه رب السموات والأرض ولهذا اتهمه بالجنون فقال

(إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون)[١] أأسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر[٢] .

ويعلق الإمام الرازى عليها قائلاً : (فكأنه عليه السلام قال : إن كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت لأنك طلبت منى تعريف حقيقته بنفس حقيقته ، وقد ثبت أنه لا يمكن تعريف حقيقته ولا بأجزاء حقيقته ، فلم يبق إلا أن أعرف حقيقته بآثار حقيقته وإن قد عرفت حقيقته بآثار حقيقته وهو رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، وهو ربكم ورب أباءكم الأولين وهو رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، وقد ثبت أن كل من كان عاقلاً يقطع بأنه لا جواب عن هذا السؤال إلا بما ذكرته)[٣] .

أما كيف هو ، أما كنه ذاته ، أما حقيقتها ، فلا يعلم ذلك إلا هو .

وقد جاء فى التوراة ــ رغم ثبوت التحريف ــ ما نصه : (لا مثل لك يا رب ، عظيم أنت وعظيم اسمك فى الجبروت من لا يخافك يا ملك الشعوب لأنه بك يليق ولأنه فى جميع حكماء الشعوب وفى كل ممالكهم ليس مثلك)[٤] .

---

[١] سورة الشعراء آية رقم ٢٧

[٢] انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى جـ ٢ ص ١٥٣ ط : دار الكتب العلمية بيروت ، ط : أولى ١٤٠٨ هـ

[٣] انظر مفاتيح الغيب للإمام الرازى جـ ١٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥هـ

[٤] سفر إرمياء الإصحاح العاشر فقرة ٦ ، ٧ ، ٨

فالذات العلية فى الدين اليهودى ــ من حيث هو دين ــ خالصة من التمثيل والتجسيم والتشبيه وهذه حقيقة اتفق عليها الأنبياء منذ موسى إلى آخر أنبياء اليهود .

لكن على الرغم من ذلك فإن التحريف جار على هذه الأصول فنادى أحبار اليهود ورهبانهم بما يخالف تلك الحقائق الإلهية فظهر إله إسرائيل متصفاً بالكثير من صفات الحوادث وصفات النقص وصوره فى صورة حسية لا تتفق مع الذات العلية ، ولا تليق بمقام الربوبية ، فمالت نصوص وشروح اليهودية إلى التجسيم وبالغت فى ذلك .

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن أمر العقيدة فى تاريخ اليهود لم يجر على وتيرة واحدة (فغن تصور الإله عندهم تطور مع تطور الحياة عندهم رغماً أنه ظل إلهاً واحداً فهو إله حرب كما جاء فى الأسفار الخمسة يحض على الغزو والاستغلال ، ثم تطور هذا التصور للإله بعد الاستقرار فى أرض كنعان (فلسطين) إلى أنه إله يحمى اليهود من أعدائهم بطريقة سليمة ، ثم تطور إله بنى إسرائيل فأصبحوا يتصورونه بعد الأسر البابلى فى كل مكان مع شعبه الذين أسروا فى الشمال وفى الجنوب وفى الشرق .. إن العقيدة اليهودية كما بشر بها الأنبياء والرسل شئ ، وتصور الإسرائيليين وعقائدهم شئ آخر لأن بنى إسرائيل كانوا قوماً اعتنقوا إلى جانب التوحيد عقائد باطنها التعدد والتشبيه والتجسيم لتأثرهم بمن حولهم من الأمم الوثنية وذلك حينما يزول عنهم تأثير الأنبياء)[1] .

---

[1] فى العقائد والأديان الديانات الكبرى المعاصرة د / محمد جبر العسال الجينى ص ٢٥ ط : القاهرة ١٩٧١م

ومن هنا كان اتجاه اليهود إلى التجسيم واضحاً فى معظم مراحل تاريخهم وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم[١] .

رابعا : أسماء الله فى التوراة :

ليس للخالق عندهم فى التوراة اسماً واحد بعينه وإنما ورد له أكثر من اسم ولكل اسم تفسير مختلف ، ومفهوم غير الآخر فمن أسماء الله كما وردت فى التوراة :

١ــ الاسم الأول :

(إلوهيم) هو اسم عبرانى يترجم فى اللغة العربية (الله) وهو لفظ فى صيغة الجمع باللغة العبرانية يدل على المعظم نفسه كما جاء فى المزامير[٢] .

وعلى أنه على علاقة مع جميع الشعوب من يهود أو من يهود يهود وأمميين وذلك لأن اليهود يطلقون على سواهم اسم (اممييــن) أو (غوييم) من باب التحقير لغير اليهود[٣] .

٢ــ الاسم الثانى :

(أهوه) أو ينطق (يهوه) ومعناه (الله) أو (الرب) كما جاء فى الإصحاح الثالث من سفر الخروج : (فقال موسى لله ها أنا أتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم ، فإذا قالوا لى ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى أهيه الذى أهيه ،

---

[١] اليهودية ، د / أحمد شلبى ، ص ١٨٦ ، ط : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٦ م .

[٢] المزامير من ٤٢ ــ ٧٣ .

[٣] معجم اللاهوت الكتابى ص ٩١ ، ط : بيروت دار المشرق جـ ٢ سنة ١٩٨٦ م .

وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل : أهية أرسلنى إليكم وقال أيا لموسى : هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله أبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا أسمى إلى الأبد[١] .

ولقد جاء فى قاموس الكتاب المقدس عن الاسم (يهوه) ما نصه : (يهوه .. هو اسم من أسماء الله .. وهذا الاسم يحفظ الدين من خطرين :

الأول : من جعل الله فكرة أو تصوراً .

الثانى : من جعله وجوداً يتلاشى فيه كل ما فى الوجود .

فالاسم يجعل الله إلهاً معيناً معلناً يستطيع الإنسان أن يدعوه بألفاظ وتعابير واضحة .

إن اسم يهوه يثبت بجلاء وجلال وجود الله .. ولكن ليس بمعنى ساكن أو مستقر فى ذاته بل بمعنى أنه يعمل ويؤثر ، فالله موجود ليعمل ويؤثر ، ليعلن عن ذاته وينفذ إرادته ويرشد شعبه ، كما أرشد الأباء فى أيام القدم .. فاسم يهوه والحالة هذه مدلول لمشيئة الله وعمله وأمانته نحو شعبه[٢] .

وإذا تفحصنا العهد القديم لنتحقق من هذا الإعلان الذى يزعمه صاحب (قاموس الكتاب المقدس) فإننا نجد العهد القديم ليعلن راحة بأن الاسم (يهوه) لم يعلن للأنبياء الذين كانوا قبل موسى :

---

[١] سفر الخروج الإصحاح الثالث ١٣ ، ١٤ ، ١٥

[٢] قاموس الكتاب المقدس تحرير د / بطرس عبد الملك وآخرين ص ١٠٧٦ ط : بيروت صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى ، ط : ثانية سنة ١٩٧١ م .

(وكلم الله موسى وقال له أنا الرب ، أنـــا الـــذى تجليـــت لإبراهيـــم وإ سحق ويعقوب إلهاً قادراً على كل شئ وأمـــا اســـمى يـــهوه فلـــم أعلنه لهم)[١] .

٣ــ الاسم الثالث :

(أدوناى) ويترجم فى العربية (السيد) وقـــد يـــترجم إلـــى (الرب) بمعنى الصاحب .

وأما عن سبب تداول هذا الاسم فقد جاء فى معجـــم اللاهـــوت الكتابى ما نصه : (وعندما أعرض الشعب بواجب الاحترام عن التلفظ باسم يهوه فى قراءته الطقسية أبدله بلفظ أدوناى ، وهذا هو الســـبب ولا شك الذى جعل الترجمة السبعينية تستخدم لفظ كـــيريوس Kyrios المقابل اليونانى للفظ أدوناى لترجمة اللفظة يهوه ، فلقب (Kyrios) بذلك يحمل معنيين : يدل تارة على سيادة يهوه ، وتارة على اســـم الله الحق الواحد غير القابل للمشاركة)[٢] .

٤ــ الاسم الرابع :

(إيل) ويستعمل غالبا مع صفة مثل (إيل عليـــون)[٣] أى الله العلى كما جاء فى التوراة إن يعقوب بنى بيتاً للإله سماه (بيت إيـــل) لأنه هناك تجلى له الله حين هرب من وجه أخيه)[٤] .

---

[١] سفر الخروج الإصحاح ٦ فقرة ٢ ، ٣

[٢] معجم اللاهوت الكتابى ص ٣٦٨

[٣] سفر التكوين ص ٣٥ / ٧

[٤] سفر التكوين الإصحاح ص ٣٥ ، فقرة ٧

خامسا : الصفات الإلهية فى نظر اليهود :

كانت الديانة اليهودية فى أصلها وكما نبئنا القرآن الكريم ديانة توحيد تتصف فيها الذات العلية بصفات الوحدة والكمـــال والمخالفـة للحوادث فى كل شئ والتجرد من مظاهر النقص كما هو الشـــأن فـــى الدين الإسلامى ، ولكن يظهر من استقراء تاريخهم وما ورد بشـــأنهم فى القرآن الكريم وما ورد فى أسفارهم نفسها أن فهمهم للذات العليـة لم يكن مطابقاً كل المطابقة لهذا الوضع[١] .

فبينما تدعو الوصايا العشر إلى التنزيه المطلق لله ــ تعـالى ــ والتوحيد التام له حيث تقول : (لا يكن لك آلهة أخـــرى أمـــامى ، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تســـجد لـــهن ولا تعبدهن)[٢] .

ويحاول بعض الباحثين الإدعاء بان اليهود قـــد وصلـــوا إلـــى توحيد الله وأنهم يعظمون الله ــ تعـــالى ــ فـــهو عندهـــم موصـــوف بالصفات الطيبة المعظمة ومنزه عن كل نقص[٣] .

ويحاول الاستدلال إلى ما ذهب إليه بنصـــوص مـــن التـــوراة (فالرب عندهم إله عظيم)[٤] قادر على كل شئ لأنه يقول : (أنه هو

---

(١) اليهودية واليهود ص ٣٣ د / على عبد الواحد وافى ، ط : نهضة مصر .

(٢) انظر سفر الخروج الإصحاح العشرون فقرة ٢ : ٥

(٣) الله وصفاته فـــى اليهوديـــة والنصرانيـــة والإســـلام د / أحمـــد حجـــازى الســـقا ص ١٨ : ٣٤ ، ط : دار النهضة العربية

(٤) صموئيل الأول ١ : ٣٠

أنا الأول ، وأنا الآخر ، ويدى أسست الأرض ، ويمينى نشرت السموات ، أنا أدعوهن فيقفن معا)[١] (أنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شئ)[٢] ، وهو عظيم وقوى وجبار (لا مثيل لك يا رب عظيم أنت عظيم اسمك فى الجبروت)[٣] ، وهو حكيم قديم لأنه (فى البدء خلق السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الأرض ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء)[٤] وهو سميع بصير ولو لم يكن كذلك ما قال : (ورأى الرب إلهكم تسيرون ، وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون)[٥] ، والحق أن هذا الإدعاء باطل وغير مقبول ويتنافى مع الواقع لما يأتي :

١ــ أن هذه الدعوة التى يحاول أن يثبتها الباحث هى خلاصة رؤية إسلامية وهى تختلف كل الاختلاف مع واقع الحياة العقيدية لليهود ، لن اليهود حتى فى زمن أشهر أنبيائهم موسى ــ عليه السلام وهو يقرأ الوصايا على أسماعهم ، ويقدم خلاصتها لهم فى الألواح لم يكد يغيب عنهم فترة من الوقت حتى انحرفوا عن عبادة الله الواحد[٦].

---

(١) سفر الخروج ج ٦ / ٣

(٢) أرمياء ٦/١٠

(٣) سفر التكوين ١ ــ ١ : ٢

(٤) تثنية ١٣ : ١٤

(٥) سفر التثنية ص ٥/١٣

(٦) الألوهية عند بنى إسرائيل ٥٠٨ د/ محمد على حسن الهوارى آداب عين شمس .

٢ــ إن هذا الإدعاء يلقي ظلالاً من الشك حول عقيدة التوحيد هذه بالرغم من أصولها فى الفطرة ، وأسسها فى الوحى وحيث يفتقد الوحى الإلهى المعصوم فى رسالة من الرسالات الإلهية التى تواترت فيها الدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الموصوف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ، وحيث يفتقد ذلك يختل بناء العقيدة ، ويصعب رصدها لأنها فى هذه الحال تخرج عن إطارها المحدد المعلوم من خلال نصوص الوحى المحكمة وهذا الوضع المتذبذب هو السمة البارزة فى تاريخ اليهود مع عقيدتهم وليس فى هذا القول خروج عن الموضوعية فى البحث ، وإنما هو الحقيقة الواضحة التى لا يمكن إغفالها .

٣ــ من المعلوم أن الأسفار الخمسة لم تدون وتجمع إلا فى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وإذا كان كذلك فهى لا تصح أن تكون مصدراً ومرجعاً .

٤ــ من الواضح أن اليهود قد اتخذوا كتاب الله وراءهم ظهريا ومن ثمة لم تتفق دعوة التوحيد الخالص والتنزيه المطلق للإله التى جاء بها موسى ــ عليه السلام ــ على صفائها وسموها ونقائها عند بنى إسرائيل .

يقول الدكتور محمد حسنى هوارى : (إنه من المؤكد أننا نخطئ إذا ما أطلقنا على الديانة الإسرائيلية التى اتبعها الشعب اليهودى اسم (ديانة توحيدية) حيث أن بنى إسرائيل لم ينكروا وجود

الأرباب الأخرى)[١] ، فأشركوا بالله غيره وعبدوا العجل والحية وأصنام الشعوب الأخرى (وكان لديهم استعداد تام فى نفوسهم وتهيؤ كامل فى قلوبهم لتقبل الأفكار الوثنية من الشعوب التى خالطتهم فكانت هذه التصورات التى فى كتبهم والتى تشهد بأنهم لم يرقوا إلى التنزيه الذى جاء به الوحى للذات الإلهية ولم يقدروا على السمو بالخالق وتنزيهه عن الصفات البشرية فكانوا أشد الناس إلحافاً على أنبيائهم فى طلب الإله المجسم ومشاهدته ذاتاً مجسدة فى وضح النهار)[٢] .

وسجل توراتهم حافل بذلك فالإله عندهم متجسد ومتعدد ومتحيز كما وصفوه بصفات البشر ، وافتأتوا من الحوادث وافتروا من الأقاصيص الكواذب ما جسم الألوهية وجسدها وما ألحق بها من الكثير من صفات الجهل والغفلة والضعف وضحالة التفكير وضآلة الرأى ويظهر ذلك بوضوح فيما يأتى :

أولا : عبادة اليهود للعجل الذهبى :

فلم تطمئن نفوسهم إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته ومن ثمة نسبوا لهارون ــ عليه السلام ــ أنه يسر لهم سبيل الشرك

---

[١] وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى فى قوله تعالى : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) .

[٢] انظر مقدمة الفولكور فى العهد القديم د / نبيلة إبراهيم ص ١٤ ، ١٨ ، الله ذاتاً وموضوعاً عبد الكريم الخطيب ص ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ط : دار الفكر العربى ط : ثالثة ١٩٨٢ م .

ودفعهم إلى عبادة العجل وصنع لهم بيده عجلاً من ذهب ليعبدون من دون الله .

وقد وردت هذه القصة فى سفر الخروج إذ يذكر : (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وآتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد الرب فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب)[1] .

وينص هذا السفر أيضا على أن الرب أمر موسى بان ينزل لأن شعبه قد فسد وزاغ عن الطريق الذى وصاهم به فعاد إليهم سريعاً وحينما اقترب منهم سمع يسوع صوت الشعب فى هتافه فقال لموسى صوت قتال فى المحلة فقال ليس صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص فحمى غضب موسى .. ثم أخذ العجل الذى

---

(١) انظر سفر الخروج الإصحاح الثانى والثلاثون فقرة ١ ــ ٦

صنعوه وأحرقه بالنار ، وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء[١] .

فمن الصعب على اليهود أن يتخلوا عن فكرة الوثنية التى ألفوها فى مصر ، ولم يستطيعوا أن ينسجوا من أذهانهم فكرة تجسد الآلهة ، وقد لبسوا مئات السنين يشاهدون المصريين وهم يعتقدون بالآلهة المجسدة فزعموا كذباً وافتراء ان هارون هو الذى سول لهم عبادة العجل من دون الله .

ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على هذه القصة قائلاً : (إن اتخاذ بنى إسرائيل عجلاً مصنوعاً من الذهب وعبادته من دون الله كان لما رسخ فى قلوبهم من فخامة مظاهر الوثنية الفرعونية فى مصر)[٢] ، وقد ألفوا رؤية المصريين للعجل أبيس .

وإلى هذا المعنى قال ول يورانت : (إن اليهود لم يتخلوا عن عبادة العجل إذ لم يستطع موسى أن يمنع قطيعه من عبادة العجل الذهبى ذلك لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر وظلوا زمناً طويلاً يتخذون هذا الحيوان القوى آكل الشعب رمزاً لألههم ويتبين ذلك حينما نجدهم يرقصون وهم عراة أمام العجل)[٣] .

---

(١) المصدر السابق فقرة ٦ ، ٧ ، ١٧ ، ٢٠ .

(٢) تفسير المنار جـ ٩ . مجلد ص ١٧٣ .

(٣) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ ص ٣٣٨ ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة ١٩٧١ م .

وقد تعرض القرآن الكريم لتفاصيل هذه القصة ووبخ بنى إسرائيل على هذه الرذيلة وبين لهم فسادهم فى كثير من سوره وآياته قال تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم جسدا له خوار لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)[١] إلى قوله تعالى : (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين)[٢] .

وملخص هذه القصة : أن الله تعالى وعد موسى ـ عليه السلام أن يعطيه التوراة بعد أربعين يوماً يصومها واستخلف موسى عليهم أخاه هارون خلال فترة غيابه عنهم وقال له (اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)[٣] .

ولكن بنى إسرائيل بعد أن فارقهم موسى لتلقى التوراة من ربه انتهزوا لين جانب هارون معهم ، فعبدوا عجلاً جسداً له خوار صنعه لهم السامرى من حلى نسائهم التى استعاروها من قبط مصر ، وحاول هارون أن يصدهم عن ذلك بشتى السبل ولكنهم أعرضوا عنه قائلين : (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) ، فلما كرر عليهم النصيحة استضعفوه وكادوا يقتلونه .

وأعلم الله موسى ـ عليه السلام ـ أن قومه قد فتنهم السامرى بعبادة العجل ، فعاد إليهم مغضباً حزيناً وأخذ يوبخهم

---

[١] سورة الأعراف آية رقم ١٤٨

[٢] سورة الأعراف آية رقم ١٥٣

[٣] سورة طه آية رقم ٩١

بقوارص الكلم ، وينذرهم بسوء المصير فاعتذروا إليه بأن السامرى هو الذى خدعهم وأضلهم .

وظن موسى أن أخاه هارون قد قصر معهم فأخذ يعاتبه بشدة إلا أن هارون بين له أن لم يأل جهدا فى نصيحتهم ووعظهم ولكنهم قوم لا يحبون الناصحين ، فوجه موسى عليه السلام ـ توبيخه وتقريعه إلى السامرى ـ رأس الفتنة ومدبرها ـ فقال له بعد أن سمع كلامه : (فأذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا)[١] ، وعلى مشهد من بنى إسرائيل وفى موسى بوعده فأحرق العجل ألقى ترابه فى البحر ، واثبت للجميع أن المستحق للعبادة إنما هو الله تعالى فقال : (إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما)[٢] .

هذه خلاصة موجزة لقصة اتخاذ بنى إسرائيل العجل إلها من دون الله ويتبين منا ما ياتى :

١ـ دافع الله عن نبيه هارون وبيان موقفه من هؤلاء الجاهلين الذين عبدوا العجل قال تعالى : (ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به إن ربكم الرحمن فأتبعون وأطيعوا أمرى)[٣] ، لكن هذه النصيحة من هارون لهم لم تجد آذانا صاغية بل قابلوا النصيحة

---

[١] سورة طه آية رقم ٩٧

[٢] سورة طه آية رقم ٩٨

[٣] سورة طه آية رقم ٩٠

بالاستخفاف والتصميم على ما هم فيه من ضلال وقالوا : (لن نبرح عليه عاكفين)[١] ، وبذلك انتفى عنه التقصير .

٢ــ أثبتت كذب ما نسبه محررو سفر الخروج إلى هارون ، كما قرر أن الذى قام بصنع هذا العجل وأغرهم بعبادته وفتنهم عن دينهم أثناء غياب موسى لتلقى الألواح رجل سامرى[٢] ، كما اثبت أيضا أن الطلب كان موجهاً إلى موسى نفسه ــ أن يجعل لهم إلها يحسونه ــ لا إلى هارون وأن موسى نهرهم وبين لهم ضلالهم وسخافة تفكيرهم وسوء فهمهم للذات الإلهية)[٣] .

وبذلك نزه الله أنبيائه ــ عليهم السلام ــ من عبادة غيره وعن كل معصية ورذيلة .

وقد بقيت عبادة العجل تتجدد فى حياة بنى إسرائيل من حين إلى آخر فقد عمل يربعام ابن سليمان عجلى ذهب ليعبدهما اتباعه حتى لا يحتاجوا للذهاب إلى الهيكل ، فقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد[٤] .

---

(١) سورة طه آية رقم ٩١

(٢) السامرى : ينسب إلى طائفة يقال لها السامرة ، وهى جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالإسرائيليين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إلى أفرادها على أنهم أحط الناس قدراً ومنزلة ، وقيل : يرجع أصله إلى إقليم السامرة وهى أحد أقاليم فلسطين . راجع الأسفار المقدسة ، ص ٥٣

(٣) أنظر الأسفار المقدسة ، د / على عبد الواحد وافى ، ص ٥٣ ، ٥٤ ط : نهضة مصر .

(٤) اليهودية د / أحمد شلبى ، ص ١٨٧ ، ١٨٨

ثانيا : قولهم : عزير ابن الله تقليداً لأحبارهم :

لم يكتفى اليهود بعبادة العجل بل أضافوا إلى معتقداتهم الفاسدة قولهم : عزير ابن الله [١]، وأنهم قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ولذلك قدسوا التلمود وفضلوه على ما جاء فيه من أقوال أحبارهم على التوراة ، وقد حكى لنا القرآن الكريم ذلك ، قال تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون * اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[٢] .

وبالبحث عن معرفة السبب الذى من أجله قال اليهود هذا القول يتبين : (أنهم قالوا ذلك) (عزير ابن الله) لأنه لم يبق فيهم بعد واقعة (بختنصر) من يحفظ التوراة ، وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظاً ، فتعجبوا من ذلك وقالوا : ما هذا إلا لأنه ابن الله)[٣] .

---

[١] عزير كان يهودى سكن بابل سنة ٤٥٧ ق . م جمع أسفار التوراة قام بتلفيقها وقد ألف أسفار الأيام وعزرا ونحميا قدسه اليهود من أجل نشره الكثر من علوم الشريعة وأطلقوا عليه كذباً لقب ابن الله ــ تعالى الله عن ذلك .

[٢] سورة التوبة ، قم ٣٠ ، ٣١

[٣] تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٢٨٠ ، ط : دار الكتب العلمية بيروت . ط : أولى ١٤٠٨ هـ .

والحق ما ذكره البيضاوى وغيره من المفسرين لا يعد دليلاً لاتخاذ عزراً ابن لله ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ بمجرد حفظه للتوراة وهو من الإسرائيليات التى امتلأت بها كتب التفاسير .

يؤيد هذا المعنى ما ذكره صاحب كتاب إفحام اليهود فى قوله : (ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة عند اليهود كان كل واحد من الهارونيين يحفظاً فصلاً من التوراة فلما رأى عزراً أن القوم أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع عن محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى بأيديهم الآن ، لذلك بالغوا فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة وزعموا أن النور إلى الآن ــ يظهر على قبره الذى عند بطائح العراق ، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ دينهم[١] .

وعلى زعمهم هذا يرد القرآن عليهم بما يبطل زعمهم ويثبت جهلهم وأن قولهم هذا لا يؤيده عقل ولا منطق فهو مجرد قول باللسان فقط ليس معه دليل ولهذا عبر عنه تعالى بقوله : (ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم انى يؤفكون)[٢] .

يقول الزمخشرى موضحاً هذا المعنى : (ذلك قولهم بأفواههم) قلت فيه وجهان :

---

[١] إفحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربى ، ص ١٣٩ ، ص ١٤٠ ، شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل لإمام الحرمين ص ٣١ ، ط : مكتبة الكليات الأزهرية ط : أولى ١٩٧٨ م .

[٢] سورة التوبة آية رقم ٣٠

أحدهما : أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من أى معنى تحته ، كالألفاظ المهملة التى هى أجراس ونغم ، ولا تدل على معان ، وذلك أن القول الدال على معنى لفظة مقول باللفم ومعناه مؤثر فى القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير .

ثانيهما : أن يراد بالقول : المذهب كقولهم (قول أبى حنيفة) يريدون مذهبه وما يقول به ، كأنه قيل : ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم ، لأنه لا حجة معه ولا شبهة ، حتى يؤثر فى القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أن لا صاحبة له لم تبق لهم شبهة فى انتفاء الولد[١].

ثالثا : ادعائهم أن آدم إله من الآلهة :

خاصة بعد أن أصبح الإنسان مثله ــ الله تعالى عن ذلك ــ فى المعرفة لتميزه بين الخير والشر ، وحتى لا يشاركه فى صفة من أخص صفاته حكم عليه بالطرد من الجنة (وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن)[٢] .

ففى هذا النص يصور لنا اليهود السبب فى طرد آدم من الجنة (وأنه لم يكن لمجرد مخالفتهما للمحظور الذى حذرهما منه الرب ولكن لأنهما سلباه صفة كان يود أن يستبقيها لنفسه دون البشر وهى معرفة الخير والشر ، ومن ثم فقد أسرع الرب فى طردهما من الجنة

---

[١] تفسير الكشاف للزمخشرى ، جـ٢ ، ص٣٠ .

[٢] انظر سفر التكوين الإصحاح الثالث الفقرات من ٢٢ ــ ٢٣ .

قبل أن يتمكنا من أن يسلباه سفات إلهية أخرى وبصفة خاصة صفة الخلود ، وذلك إذا ما تهورا وأكلا من الشجرة الثانية وهى شجرة الحياة)[١] .

والملاحظ على هذا النص أنه يوحى بتعدد الآلهة ولهذا اعتبرها ابن حزم ضرباً من ضروب الوثنية والشرك وقد أدى هذا إلى اعتقاد اليهود أن الذى خلق آدم لم يكن مخلوقاً خلقه الله تعالى قبل آدم فأكل من شجرة المعرفة التى أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة أيضا فصار إلهاً من جملة الآلهة .

ثم تعقب ابن حزم على هذا النص التوراتى بقوله : (وحكايتهم عن الله أنه قال هذا مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد)[٢] ، وكيف يليق بالله تعالى وهو المنزه عن الشركاء ، أن يقول : (إن آدم صار كواحد منا) مع وصف المولى عز وجل بالوحدانية فى قوله تعالى : (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)[٣].

فهذه السورة قد نفت عن الله تعالى ــ أموراً لا تليق بذاته المقدسة وهى ثمانية :

١ ــ نفى الكثرة والتعدد بقوله (قل هو الله أحد) .

---

[١] على اليهودية للعلامة الشيخ الباجى ، تحقيق د / أحمد حجازى السقا ، ص ٣٤ ، ط دار الأنصار القاهرة أولى .

[٢] الفصل لابن حزم ، ص ٢٠٧ تحقيق د / عبد الرحمن عميرة .

[٣] سورة الإخلاص .

٢ ــ نفى القلة والنقص بقوله : (الله الصمد) والصمد هو الذى يقصد فى الحوائج ويحتاج إليه .

٣ ــ نفى العلة والمعلولية بقوله : (لم يلد ولم يولد) بمعنى أن لا يكون ــ تعالى ــ علة لغيره وأن لا يكون معلولاً لغيره .

٤ ــ نفى الشبيه والنظير وما فى حكمها من المثيل والمساوى والمضاهى والمحاكى بقوله تعالى : (ولم يكن له كفوا أحد) .

أضف إلى ما سبق أن قولهم : (لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد يسلب عن الإله صفة القدرة على الإحياء والإماتة والمنع .

يؤكد هذا المعنى ما ذكره الشيخ الباجى أثناء رده على هذا النص قائلاً : (كيف يحسن أن يقال : وقال الرب الإله : إن آدم قد صار كواحد منا يعلم الخير والشر ؟ أيتوهم عاقل أن الإلهية تكتسب بالأكل ن وأيضاً فإن قوله : (كواحد منا) يدل على تكثر الرب سبحانه وكيف يحسن أن يقال عقب هذا : (عساه الآن يقدم يده فيأخذ من شجرة الحياة فيأكل منها فيحيى إلى الدهر) فإن ظاهره يفيد أن الحياة والموت ليسا بيد الله وقدرته ، بل بسبب بعض المأكولات . كما أن لفظ (عسى) لتوقع ما يشتهيه المتكلم لا يناسب هذا المحل بل المناسب لفظ (أخشى)[1] .

---

[1] على التوراة ، ص ٣٤ للباجى تحقيق د / أحمد حجازى السقا ط دار الأنصار القاهرة ١٤٠٠هـ .

وبعد ذكر هذه الاعتراضات على هذا الباطل الذى يدعيه اليهود نستطيع أن نقول : إنه لا يمكن التسليم بما ذكرتم إلا فى حالة تعطيل العقول عن التفكير ، وشد الأفهام بعصائب من التقليد الأعمى أو تغشيتها بحجب كثيفة من الباطل والهوى الجامح .

وإذا كان المجوس يعتقدون بالرب الثنائى والنصارى يجعلون الرب ثلاثيا مركبا من ثلاثة أصول تجتمع وتفترق فى صورة لا يمكن أن تهضمها العقول فإن يعتقدون بأكثر من ذلك ، وهذا يؤكد مدى التأثر الواضح بمعتقدات الأمم الماضية .

(فالأسطورة الإغريقية التى تصور كبير الآلهة (زيوس) غاضبا على الإله ديروميثوس) لأنه سرق النار المقدسة (سر المعرفة) وأعطاه للإنسان من وراء كبير الإلهة الذى لم يكن يريد للإنسان أن يعرف ، لئلا يرتفع فيهبط مقام كبير الإلهة ويهبط معه مقام الإلهة ومن ثم أسلمه إلى أفظع انتقام وحشى رهيب)[1] .

فهذه الأسطورة الخيالية الكاذبة المشوهة عن الإله فى كثير مع الأسطورة اليهودية التى تصور الإله خائفا من أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة بعدما أكل من شجرة المعرفة فيصبح كواحد من الآلهة . كما أنها لا تتفق مع عقيدة التوحيد الواضحة التى جاء بها موسى ــ عليه السلام ــ وجاهد فى الدعوة إليها .

---

[1] انظر تفاصيل هذه الأسطورة فى حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس العقاد ، ص ٤٠ ط نهضة مصر .

ولو رجعنا إلى القـــرآن الكريـــم باعتبـــاره فـــى مثـــل هـــذه الموضوعات وثيقة تاريخية يعتمد عليها المسلم فى إيمانه وفى بحثه ، ولا يستبعدها الباحث المنصف أيا كانت عقيدته ــ لرأينـــا أن القـــرآن الكريم قد عرض لهذه القصة فى أكثر من موضع من ســـورة وأثبـــت فيها كماله وعلمه وتمام قدرته عن كل ما يشوب ويشين[١] .

بل لقد بلغ التحريف باليهود إلى مهاوى الشرك وتعدد الإلهـــة فقرروا بأن لله تعالى أبناء ، وقد وردت هذه العبـــارة فـــى الإصحـــاح السادس من سفر التكوين إذ يقول : (وحدث لما ابتدأ الناس يكـــثرون على الأرض ، وولد لهم البنات فلما رأى أولاد الله بنـــات آدم إنـــهن حسان اتخذوا منهن نساء... فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة)[٢] .

فهذا النص يفيد ما يلى :

أ ــ أن لله أبناء ينكحون بنات آدم ــ وهذا افتراء عظيم تعـــالى الله عن ذلك ــ وقد دافع بعضهم بأن الرماد بذلك الملائكـــة ــ ولكـــن الملائكة لا ينكحون أيضا .

ب ــ أن فى هذا النص حكما على الإنسان بأن لا يعيش أكـــثر من مائة وعشرين سنة ــ وقد ذكر هذا السفر بعد ذلك أن ســـام بـــن نوح عاش بعد ذلك ستمائة سنة ــ وأن ارفكشار بن سام قـــد عـــاش

---

[١] وردت هذه القصة فى سورة البقرة آية رقم ٣٥ ، ٣٦ ، وفى سورة طه من آية رقـم ١١٥ ، ١٢٣ وغيرهما .

[٢] سفر التكوين الإصحاح السادس ، الفقرات ١ ، ٤ .

أربعمائة وثمانى وثلاثين سنة ــ وأن شالح بن ارفكشار عاش أربعمائة وثلاثاً وثلاثين سنة ــ وأن عابر بن شالح عاش أربعمائة وأربعا وستين سنة[١] ، وأن إسماعيل بن إبراهيم عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة[٢]

وفى هذا من التناقض والتخبط ما يقطع بالتحريف الذى لحق بالتوراة ، وإن اليهود قد انحرفوا عن أصل دياناتهم الحقة وما هذه المعتقدات الباطلة إلا خروجا عن جادة الإيمان الصحيح بالله ، وانحرافا إلى الجهل والكفر والضلالة .

فالإله الحق يستحيل ــ عقلا وواقعا ــ أن يكون له أصل ولد منه أو تولد عنه ــ فوجود ذاته سبحانه ــ متصفة بصفات الكمال كلها هو الأصل وما كان هو الأصل فى الوجود يستحيل أن يكون فرعاً عن شئ آخر . كما يستحيل أن يولد منه فرع أو يتولد عنه فرع ــ بأى معنى من معنى التولد ــ لأن ذلك لا يكون إلا فى المخلوقات الحادثة .

وبذلك يمكن القول بأن الإله لا يمكن أن يكون له أب أو أم أو ولد أو بنت تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . كما لا يمكن ــ أيضا ــ أن يكون قد تطور وجوده جل وعلا عن أصل آخر على طريقة الولد ، ولا يمكن أن يكون قابلاً لن يتولد عنه آخر بطريقة من طرق التفاعل الذاتى أو مع الغير أو غير ذلك من تخريفات لا تقبلها العقول السليمة الصافية .

---

[١] المصدر السابق الإصحاح الحادى عشر الفقرات ١ ــ ١٧ .

[٢] سفر التكوين الإصحاح ٢٥ / ١٧ .

رابعاً : وفى قصة الخلق التوراتيـــة يشـبهون الله بالإنســان وشاهد ذلك قولهم :

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا ــ كشـــبهنا ــ فخلــق الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه)[1]. والواقـــع أن هــذا التصور لا يليق بجلال الله تعالى وقداسته ، ولا يحظى بتسليم العقــل ، (لأنه إذا كان له من خلقه شبيه وجب أن يجوز عليه من ذلك الوجــه ما يجوز على شبيهه ، وإذا جاز ذلك عليه لم يستحق اسم الإله كما لا يستحقه خلقه الذى يشبه به ، فتبين بهذا أن اسم الإلـــه والتشـبيه لا يجتمعان ، كم أن اسم الإله ونفى الإبداع لا يأتلفان)[2] .

---

[1] انظر سفر التكوين الإصحاح ١ ، فقرات ٢٦ ــ ٢٨ ، وأنبه هنا أنه لا توجد علاقــة بين هذا النص وما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) قال أبـــو بكــر (أســحاق بــن جزيمــة) توهــم بعــض مــن لــم يتحــر العلــم أن قولـــه (على صورته) يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر بـــل معنى قوله (خلق آدم على صورته) الهاء فى هذا الموضع كناية عن اسم المضـــروب والمشتوم ، أراد صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الــذى أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب والذى قبح وجهه فزجر صلـــى الله عليـــه وســلم ووجهه من أشبه وجهك لأن وجه آدم الذى وجوه بنيه شبيهة بوجه بنيه فإذا قال الشاتم لبعض بنى آدم : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك كان مقبحا وجه آدم الذى وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم فتفهموا رحمكم الله معنى الخبر لا تغلظوا ولا تغالطوا فتضلـــوا عن سواء السبيل وتحملوا على التشبيه الذى هو ضلال ــ انظر كتــاب التوحيــد لابــن جزيمة ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٢هـــ .

[2] انظر البيهقى الأسماء والصفات ، ص ٩٧ .

وإذا كان كذلك فإن الله تعالى يتنزه عما يقع للخلق من أوجه الضعف والقصور والحاجة والحدوث وما أشبه ذلك ، قال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير)[١] .

وقد وضح ابن رشد هذا المعنى فقال : (إنه من المغروز فى فطر الجميع أن الخالق يجب أن يكون أما على غير صفة الذى لا يخلق شيئا ، أو على صفة غير شبيهة بصفة الذى يخلق شيئا ، وإلا كان من يخلق ليس بخالق ، فإذا أضيف إلى هذا الأصل أن المخلوق ليس بخالق لزم عن ذلك أن تكون صفات المخلوق أما أن تكون منتقية عن الخالق ، وأما موجودة فى الخالق على غير الجهة التى هى عليها فى المخلوق ثم ذكر ابن رشد أن نفى المماثلة يفهم منه شيئان :

أحدهما : أن يعدم الخالق كثيرا من صفات المخلوق .

ثانيهما : أن توجد فيه صفات للمخلوق على جهة أتم وأفضل بما لا يتناهى فى العقل [٢] .

ومعنى هذا أن الله ليس له مثيل ولا شبيه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وذلك لأنه لا يجوز أن يكون صانع المحدثات مشبها لها ، لأنه لو يشبهها لكان لا يخلو من أن شبهها فى الجنس أو فى الصورة ، ولو أشبهها فى الجنس لكان محدثا مثلها أو لكانت

---

[١] سورة الشورى آية رقم ١١ .

[٢] مناهج الأدلة لابن رشد ، ص ١٦٨ ، ١٦ ، تحقيق ، د / محمود قاسم ط دار الانجلو مصر .

قديمة مثله ، ولو أشبهها فى الصورة لاحتاج إلى مصور صـــوره لأن الصورة لا تكون إلا من مصور[١] .

وهذه الحقيقة ــ أعنى مخالفة الله تعالى للحوادث فـــى ذاتـــه وصفاته ــ تستلزم تنزيهه تعالى عما لا يليق بالله تعالى .

ويمكن الرد عليهم بقولنا : (كيف يحسن أن يقال : (كصورتنا وشبهنا) مع أن الله سبحانه (ليس كمثله شئ) منزه عن الصورة بل هو خالق الصور كلها والخالق مغاير للمخلوقات ومستغن عنه .

فإن قيل المراد خلق إنسان له قدرة على الخير والشر ، وأراده لهما يفعل بقدرته ما يريد كما الله سبحانه قدرة وإرادة .

قلت : هذا إن سلم فلفظ الصورة لا يدل عليه لأن لفظ الصـــورة مدلولة الهيئة والشكل كما يقول : فلان بصورته حسنه ، والصورة فى الحائط مليحة ، واللفظ الدال على هذا أن يقال : صفاته صفاتنـــا فلـــم عدل عن اللفظ الحسن الدال على المعنى المراد من غير إبهام للبـــاطل إلى ما يوهمه[٢] .

ويقرر ابن حزم : (لو لم يقل إلا (كصورتنا) لكان له وجـــه حسن ومعنى حسن وهو أن يضيف الصورة إلـــى الله تعـــالى إضافـــة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد والحسن هذه صورة الله أى تصويره الله والصفة التى انفرد بملكها وخلقها لكـــن قولـــه : (كشبهنا) منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم

---

[١] انظر الإرشاد للجوينى ، ص ٣٤ .

[٢] على التوراة ، ص ٢٥ ، ٢٦ للعلامة الباجى .

الله عز وجل ولابد ضرورة . وهذا يعلم بطلانه ببداهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه[١] .

فالله ــ تعالى ــ لا يشبه خلقه لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا أفعاله لثبوت وجوب مخالفته ــ تعالى ــ للممكنات جميعها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

والحق أن قول اليهود هذا نابع من تأثرهم بالتصور الوثنى فى الديانات القديمة وهذا ما أكده الدكتور بحر عبد المجيد فى قوله : (وثمة تأثير بابلى فى تصوير القصة فى سفر التكوين بصورة الرب حين يقول ليعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)[٢] ، (فقد عزا السرمريون والبابليون إلى ألهتهم صفات البشر جميعها من عواطف وميول مثل الشر وهى تعيش وتأكل وتتزاوج وتسكن فى بيوت هى المعابد المشيدة لها وفيها خدمها وكهنتها ولكل إله زوج أو زوجات وسرارى ومعشوقات وله بنات وأولاد ومن ظواهر صفة التشبيه أيضا تاليه الملوك العظام فى حياتهم وبعد مماتهم)[٣] .

خامساً : وفى قصة خلق السموات والأرض :

يزعمون أن الله قد انتهى من خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع ، وانه تعب ويحتاج إلى الراحة وهذه

---

[١] الفصل فى الملل والنحل والأهواء ابن حزم جـ١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، تحقيق د / عبد الرحمن عميرة .

[٢] اليهود د / بحر عبد المجيد ، ص ٤٦ .

[٣] العرب فى التاريخ ، د / أحمد سوسة ، من ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ط دمشق .

الصورة يسجلها سفر التكوين قائلاً : (وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا)[١]. وهذا الوصف يتنزه عنه الخالق ـ تعالى ـ كما يتنزه أى كتاب سماوى عن أن يشتمل على هذه العبارة الباطلة .

ولقد بين القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ خلق السموات والأرض وما بينهما دون أن يناله نصب أو تعب فقال تعالى : (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب)[٢] .

ويعلق الفخر الرازى على هذه الآية قائلاً : إن المراد من هذه الآية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله تعالى خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه فى ستة أيام أخرها الجمعة واستراح يوم السبت .

ويرى أن قولهم هذا تحريف منهم للتوراة ذلك لأن الأحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض ، فلو كان خلق السموات ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الجسام والزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل خلق الأجسام أجسام أخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة)[٣] .

---

[١] سفر التكوين الإصحاح ، ٢ : ٢ ، ٣ .

[٢] سورة ق : ٣٨ .

[٣] التفسير الكبير ، جـ١٤ ، ص ٤٦ ، ط دار الغد العربى ، ط أولى ١٤١٤هـ .

يضاف إلىٰ ما سبق ذكره : (كيف يحسن أن يقال) واستراح فى اليوم السابع فإن الاستراحة إنما تطلق على من يناله التعب ، فأما من أفعاله بالأمر التكوينى يقول للشئ كن فيكون فذلك فى حقه ممتنع)[١].

وبهذا يتضح أن قصة خلق السموات والأرض فى التوراة تختلف كل الاختلاف عن قصة خلق السموات والأرض فى القرآن الكريم وذلك لأن كلمة يوم كما هى مذكورة فى التوراة تعنى المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين متواليين وذلك بالنسبة لسكان الأرض واليوم وقد تحدد بهذا المعنى يرتبط وظيفيا بدروان الأرض حول نفسها[٢] ولم تكن الأرض قد أنشئت بعد .

وفى القرآن الكريم يخبر الحق عز وجل بأنه قد خلق فعلاً السموات والأرض فى ستة أيام ، لكنها ليست كأيامنا ذات صباح ومساء ، خاصة أن الله يبين لنا أن اليوم عنده كألف سنة مما تعدون قال تعالى : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)[٣] .

---

[١] على التوراة ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

[٢] دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، ص ١٥٨ ، ط دار الأفكار للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط أولى ١٩٩١م .

[٣] سورة الحج آية رقم ٤٧ .

وقد تختلف العلماء فى هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيـــام أو كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل ويروى ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس[١] .

ولا يعقل أن تكون الأيام الستة من أيام أرضنا ، التى يحد ليـــل اليوم ونهاره منها بأربع وعشرين ساعة من الساعات المعروفة عندنا فإن هذه الأيام إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض فكيف يكـــون أصـــل خلقها فى أيام منها[٢] .

وقد أجاب عن ذلك الإمام فخر الرازى فقال : (فى ستة أيـــام) إشارة إلى ستة أطوار والذى يدل عليه ويقرره هو أن المراد من الأيام لا يمكن أن يكون هو المفهوم فى وضع اللغة لأن اليوم عبارة فى اللغة عن زمان مكث الشمس فوق الأرض من الطلوع إلى الغروب ، وقيـــل خلق السموات لم يكن شمس ولا قمر لكن اليـــوم يطلـــق ويـــراد بـــه الوقت[٣] .

وهذا هو المفهوم الصحيح الذى يتفق مع النظريـــات العلميـــة الحديثة يقول موريس بوكاى : عن مفهوم خلق العـــالم فـــى القـــرآن الكريم يختلف عن الأفكار التى وردت فى التوراة إلا أن هذا المفـــهوم يتفق مع النظريات العلمية الحديثة عن تكوين الكون ونشأته وأن هناك بسطاً للقضايا بما يتفق تماماً مع الآراء الحديث بشأن حركات الإجـــرام

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، جـــ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٢) تفسير المنار ، جـــ٨ ، ص ٤٤٥ .

(٣) التفسير الكبير ، جـــ١٤ ، ص ٤٦٨ للإمام الرازى .

السماوية وتطورها ، وأن القرآن الكريم يتميز بمعالم أصلية تميزه عن التوراة حيث إنه يهدف إلى إيضاح التأكيدات المتكررة للقدرة الإلهية ويقدم لنا وصفا تفصيليا عن طريقة تطور الظواهر الطبيعية وأثارها)[١] ، وصدق الله إذا يقول : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[٢].

سادساً : وفي قصة خلق آدم وحواء وأكلهما من الشجرة :

يصفون الإله بالجهل وعدم العلم وبالخوف والتضليل وستر الحقيقة عن آدم وحواء حتى لا يكتسبا المعرفة والخلود فينازعانه في خصائصه ، وبذلك غضب عليهم وأخرجهما من الجنة وفي ذلك يقول سفر التكوين ملخصاً : (وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت[٣] .

ونتساءل : كيف يليق هذا بالله ؟ وكيف يحسن أن يقال : وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الفردوس عند المساء فاختفى آدم

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ١٧٩ ، ١٨٠.

(٢) سورة النساء آية رقم ٨٢ ، وكل ما ذكر في تحديد أيام الخلق بأيام الأسبوع فهو من الإسرائيليات ولم يصح فيها حديث مرفوع كما ذكر ابن تيمية في مجموع الفتاوى ، جـ١٧ ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ .

(٣) سفر التكوين ص٣ / ٨ : ١١ .

وزوجته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الفردوس كما ذكر سفر التكوين[١]، مع أن الرب سبحانه وتعالى منزه عن الصوت .

وأيضا فإن آدم أتم علما من أن يتوهم أنه يمكنه أن يختفى من الرب سبحانه فى شجرة الفردوس ، وهذان السؤالان واردان بعينيهما على قوله بعد هذا (فقال : سمعت صوتك ماشيا فى الفردوس فخفت لأنى عريان فاختفيت) . كيف يحسن أن يقال : (ودعا الرب الإله آدم وقال له آدم أين أنت) ؟.

فهل يتصور عاقلاً أن يكون هذا وحى أنزله الله على نبى من أنبيائه ؟ أنه خيال اليهود المريض وطبيعتهم المادية التى تلازمهم منذ القديم مع أن الله تعالى لا يخفى عليه آدم ولا مكانه . أنها لمقولات تسير السخرية من عقيدة تصل فى الهرطقة إلى هذا الحد ، صورة غريبة أن يختبئ مخلوق من وجه الخالق فيستفسر منه أين أنت ؟ والاختباء يحصل بعد سماع وقع الخطى فى الجنة حيث كان يتمشى الرب الإله فأمر الفساد فى عقيدتهم من خلال هذه النصوص بين وواضح .

كما جاء أيضا فى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر . أن الرب أمر موسى أن يضع بنو إسرائيل على أبواب بيوتهم علامات من الدم لأن الرب سيمر فى هذه الليلة ليضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ولكنه يستثنى من ذلك بنى إسرائيل ، لذا فهو يأمرهم بوضع هذه العلامات على بيوتهم حتى إذا عرف أن هذا بيت من بيوت

---

[١] على اليهودية للعلامة الباجى ٥٨ .

إسرائيل فيتجاوزه ولا يهلك أحداً ممن فيه وهذا يعنى وصف الإله بالجهل وأنه فى حاجة إلا علامات ترشده حتى لا يضل وهذا ما أكده سفر التكوين : (فأنى اجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم واصنع أحكاما بكل آلهة المصريين أنا الرب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب مصر)[١] .

فأى إله هذا الذى يصفونه بهذه الصفات ؟ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

سابعاً : والرب فى العهد القديم يفعل الشئ ثم يندم على فعله :

فقد ورد فى سفر التكوين إن الرب تأسف على أنه خلق الإنسان لما كثرت شروره فى الأرض : (ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات الأرض وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم)[٢] .

وجاء فيها أيضاً : أن الله تعالى قال لموسى ــ عليه السلام ــ سأهلك هذه الأمة وأقدمك على أمة أخرى عظيمة ، فلم يزل موسى يرغب إلى الله تعالى فى أن لا يفعل ذلك حتى أجابه وأمسك عنهم ، يقول سفر الخروج : (فتضرع موسى أمام الرب إله وقال : ارجع عن

---

(١) سفر الخروج الإصحاح ١٢ / ١٣ ، ١٤ .
(٢) سفر التكوين الإصحاح السادس : ٥ : ٧ ، ٨ .

حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين خلقت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطى نسلكم كل هذه الأرض التى تكلمت عنها فيملكوها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه)[١]

ويعنى هذا أن الإله عندهم تستولى عليه نزوة غضب فيقسم ليأتين أعمالاً شريرة أو غير عادلة ثم يتوب إلى رشده فيتحلل من يمينه (وهذا هو البداء[٢] بعينه والكذب المنفيان عن الله تعالى ، أنه ذكر أن الله تعالى أخبر أنه سيهلكهم ثم لم يفعل فهذا هو الكذب بعينه تعالى الله عنه)[٣] .

ثامناً : يذكر سفر التكوين أن الرب قد ظهر ليعقوب فى صورة إنسان صارعه حتى الفجر :

ولم يتمكن الرب من التغلب على يعقوب إلا بعد أن كسر حق فخذه ، ولم بلغ من الله مبلغه طلب إلى يعقوب أن يطلق سراحه ويخلى

---

[١] انظر سفر الخروج الإصحاح ٣٢ الفقرات من ١١ ــ ١٥ .

[٢] البداء (بفتح الباء) يطلق فى لغة العرب على معنيين متقاربين : أحدهما : الظهور بعد الخفاء ومنه قوله تعالى : (وبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) الزمر : ٤٧ ومنه قولهم : بداء لنا سور المدينة . ثانيهما : نشأة رأى جديد لم يك موجوداً ، قال فى القاموس · بدا له فى الأمر بدواً وبداء وبداة . أى نشأ له فيه رأى ومنه قول الله تعالى : (ثم بدا لهم من بعدما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين) (يوسف : ٣٥) أى نشأ لهم فى يوسف رأى جديد هو أن يسجن سجناً وقتياً . وكلاهما مستحيل على الله تعالى لما يلزمهما من سبق الجهل وحدوث العلم والجهل والحدوث عليه محالان . انظر لسان العرب لابن منظور ط ٣٤٧ .

[٣] الفصل لابن حزم ن جـ١ ، ص ١٨١ ، تحقيق د / عبد الرحمن عميرة .

سبيله لنه قد طال أمد المصارعة وطلع الفجر ولـن يعقـوب أبـى ان يطلقه إلا إذا باركه فقبل الرب شرطه وباركه .

يقول سفر التكوين : (وبقى يعقوب وحده وصارعـه إنسـان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب . حـق فخـذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال أطلقنى لأنه قد طلـع الفجر فقال أطلقك إن لم تباركنى فقال له ما اسمك ؟ قال يعقوب قـال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنـك جـاهدت مـع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل عن أسمى وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان فينيئل قائلا : أنـى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى)[1] .

ويعلق الإمام ابن حزم على هذه القصة قـائلاً : (وفـى هـذا الفصل شنعة يقشعر منها جلود أهل العقول وبالله العظيم لـولا أن الله عز وجل قص علينا كفرهم بقولهم : يد الله مغلولة وبقولـهم : إن الله فقير ونحن أغنياء لما نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم لكنـا نحكيـه منكرين له كما نتلوه فيما نصه عز وجل تحذيراً من إفكهم)[1] .

وذهب بعض اليهود إلى القول بأن الذى صارع يعقـوب هـو (إنسان) وليس الله أو هو ملاك الرب كما ورد فى سـفر هوشـع إذ جاء فيه : (وبقوته جاهد الله ، جـاهد مـع المـلاك وغلـب بكـى واسترحمه)[2] .

---

[1] انظر سفر التكوين الإصحاح الثانى والثلاثون ، ٢٤ ــ ٣٠ .

[1] الفصل لابن حزم ، جـ١ ، ١٤١ .

[2] انظر سفر هوشع الإصحاح الثانى عشر ، فقرة ٣ ، ٤ .

وهذا ما قرره سعديا الفيومى الذى حذف كلمة (رجل) أو (إنسان) ووضع بدلاً منها فى ترجمته العربية للتوراة لفظ (ملاك) ثم حاول فى نهاية القصة نفى حدوثها فى النص وقال : (لأنك ترأست عند الله وعند الناس وطقت ذلك)[١] .

وممن ذهب إلى هذا القول العلامة الباجى الذى استنكر القصة ووضح أنه غير مقبول ولا يحسن مطلقاً لأنه يشتمل على أشياء لا تليق وذلك لما يأتى :

١ ــ فلأن ظاهره أنه يريد بالإنسان : الله تعالى كما ذكك فى آخر القصة .

٢ ــ ولأنه ذكر فيه المصارعة بينهما وجعلها ممتدة إلى الفجر ، ولم يقو أحدهما على الآخر .

٣ ــ ولأنه قال : (أطلقنى) ولم يقدر أن ينطلق بذاته .

٤ ــ ولأنه لم يطلقه ــ كما قال ــ إلا بعوض ، وهو أن يباركه .

٥ ــ ولأنه قال : (ما اسمك؟) وفيه دليل على أنه لم يعلم اسمه .

٦ ــ ولأنه قال : لأنك قويت مع الله وفيه شبه من قول الشخص : عن فلانا قوى مع المصارع الفلانى القيم فى الصراع بإدمانه معه[٢] .

والحق أن ما ذكه الشيخ الباجى وغيره لا يصح وذلك لأن اليهود معرفون بسوء أدبهم مع الخالق ــ عز وجل ــ ووصفهم له ــ

---

[١] التفاسير والكنب والرسائل ، جـ١ ، ص٥١ ، نقلا عن حسن ظاظا الشخصية الإسرائيلية ، ص ١٥ .

[٢] على التوراة ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

سبحانه ــ بما لا يليق به وبما هو منزه عنه وقد سجل عليهم القرآن الكريم قولهم (إن الله فقير ونحن أغنياء)[١]، وقال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة)[٢] .

ومن هنا أبطل ابن حزم هذا الدعوى وبين زيفها فقال : (ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المعترضين منهم للبدال فى كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم وقال : إن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك ، فإنما صارع ملكاً من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة ، لأن فيه كنت قوياً على الله فكيف على الناس ، وفيه أن يعقوب قال رأيت مواجهة وسلمت نفسى ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك كما نص يعقوب أن يحرم على بنى إسرائيل أكل عروق الفخذ فى الأبد من أجل ذلك .

وفيه انه سمى الموضع بذ ك فينيئل لأنه قابل فيه إيل وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم ، ثم إنه لو كان ملكاً كما تدعون عند المناظرة لكان أيضا من الخطأ تصارع بنى وملك لغير معنى فهذه صفة المتحدين فى العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء[٣] .

ويذكر الدكتور محمد بيومى مهران : (أن النص التوراتى نفسه يخبرنا بوضوح أن ذلك الذى صارع يعقوب إنما هو الله نفسه ،

---

[١] سورة آل عمران آية رقم ١٨١ .

[٢] سورة المائدة رقم ٦٤ .

[٣] الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ١ ، ص ١٤٢ .

ولسنا نملك من أمرنا سوى أن نستغفر الله ممـــا جـــاء فـــى تـــوراة اليهود)[١] .

ويقرر جميس فريزر أن قصة مصارعة يعقوب كما وردت فـــى سفر التكوين مستقاة من مصادر وثنية[٢] .

تاسعاً : جاء فى العهد القديم أن الإله يسكن فى التابوت ومنـــه يكلم موسى :

ففى سفر الخروج حديث عن التابوت الذى أمر الرب موســـى بأن يضعه ليضع فيه لوحـــى الشـــهادة وأن هـــذا التـــابوت ســـيكون مسكن الرب وفيه يقـــول : (فيصنعـــون لـــى مقدســـا لأســـكن فـــى وسطهم)[٣](وأنه يجتمع بموسى هناك ويتكلم معه من على الغطاء من بين الكروبين الذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلـــى بنـــى إسرائيل)[٤] .

كما يذكر العهد القديم أن الرب يأمر بالسلب والنهب فقـــد ورد فيه أن الرب أمر بنى إسرائيل بسلب المصريين حين خروجـــهم مـــن مصر حيث يقول : (وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريـــن فيكون ــ حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امـــرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين[٥] .

---

[١] دراسات فى تاريخ الشرق الدينى القديم ، جـ٧ ، ص ٢٢٤ د / محمد بيومى .

[٢] الفولكلور فى العهد القديم جـ٢ ، ص ٥٠٧ .

[٣] سفر الخروج الإصحاح الخامس والعشرون ، فقرة ٨ .

[٤] المصدر السابق ، فقرة ٢٢ .

[٥] المصدر السابق الإصحاح الرابع ، فقرة ١٤ : ١٦ .

عاشراً : ومن القصص التى وردت فى سفر التكوين والتى تصور الرب بصورة بشرية محضة :

قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتى (سدوم) و (عمورة) إذ يذكر : (أن ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه قدموا على إبراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وان إبراهيم قد عرف الله من بينهم ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء السفر ، وقدم إليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وفطائر وعجلا حنيذا لطعامهم ، فانتحى ثلاثتهم تحت ظل شجرة واخذوا يأكلون مما قدمه إليهم وإبراهيم جالس على مقربة منهم ، ثم تفقد الإله زوجه سارة وسأله عنها ، وأخذ يبشرها ويبشر إبراهيم بأنه سيمر بهما فى هذا الموعد نفسه من السنة القادمة فيجدهما قد رزقا غلاما زكيا ، ثم المعروف والمحسوس وقالوا إنها تحديد مجازى لا يحرك آية نفس نحو التقى والصلاح وانضم الكثيرون إليهم حتى ذهبوا إلى قبر ابن ميمون فدنسوه)[1] .

ويذكر الدكتور بحر عبد المجيد أن انتشار الفكر الفلسفى فى كتابات علماء الدين اليهودى كان له أثره البالغ فى العقائد اليهودية ، وان هذا الفكر قد تعارض مع ما ورد فى التلمود والعهد القديم فمثلا لم يوافق موسى بن ميمون العبارات التى توحى بتجسيد الرب والمعتقدات التى بنيت على هذه العبارات والتى أصبحت فى صلب عقيدة اليهود ، فقامت حملات ضد أفكار هؤلاء الذين صيغوا الفكر الدينى اليهودى

---

[1] قصة الحضارة ، جـ١٤ عصر الإيمان ن ص ١٣١ ، ١٣٢ .

بالفلسفة ، ووصل المر إلى أن بعض رجال الدين اليهودى حرموا قراءة هذه الكتابات ، واعتبروا أن بعض ما جاء فيها نوع من الزندقة والكفر بالعهد القديم والتلمود[١] .

ثم اشتبك معه إبراهيم فى نقاش وجدال ومساومة حول القريتين اللتين يريد إهلاكهما بغية أن يثنيه عن ذلك ، لأن بعض أهلها أتقياء ، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسئ)[٢] .

فالنص كما هو واضح يثبت أن الرب كان أحد هؤلاء الثلاثة وأنه أكل مع الملكين وأنه مشى حتى جلس بجانب إبراهيم وانهما تحاورا وتناقشا ثم بشره الله بعد ذلك بغلاما زكيا .

فكيف يحسن أن يقال : (ثلاثة رجال وهم الله وملكان معه) والله منزه عن الظهور فى صورة رجل أو أن يحل أو يتحد بإنسان . وكيف يحسن أن يقال : أكل الرب والملكين وشربوا عند إبراهيم) ، والملائكة لا يأكلون ولا يشربون باتفاق العقلاء لأن الملائكة أرواح مجردة عن المادة .

ويعلق الإمام ابن حزم على هذه القصة بأنها تحتوى على آيات شنيعة من البلاء :

فأول ذلك إخباره أن الله تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة رجال فإن كان أولئك الثلاثة هم الله فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو

---

[١] اليهودية ، ص١٥٢ د / بحر عبد المجيد ط مكتبة سعيد رأفت القاهرة .

[٢] الأسفار المقدسة ، د / على عبد الواحد وافى ، ص ٢٨ ، وانظر هذه القصة فى سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر فقرة ، ٢٣ : ٣٣ .

أشد من التثليث لأنه إخبار بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص وقد رأيت فى بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القصة فى إثبات التثليث وهذا كما ترى فى غاية الفضيحة .

وإن كان أولئك الثلاثة ملائكة ـ وهكذا يقولون ـ فعليهم فى ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه :

أولها : من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له ، وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة .

ثانيها : أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب واحد ، وهذا مما يزيد من ضلال النصارى فى هذا الفصل ، وهذا أيضا محال فى الخطاب .

ثالثها : إخباره أنهم أكلوا الخبز والشوى وشربوا فحاشى أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى ولا عن الملائكة[١] .

والحق أن أخبار القرآن الكريم عن هذه القصة يبين الفارق بين التجسيم والتنزيه ، فالضيوف الثلاثة الذين ورد ذكرهم فى سفر التكوين كانوا يأكلون ويشبعون من الطعام .

إلا أن القرآن الكريم يروى قصة هؤلاء الضيوف ولا يروى أنهم أكلوا وشبعوا بل جلسوا إلى الطعام ولم تصل أيديهم إليه وسألهم إبراهيم أن يأكلوا فلم يفعلوا فأوجس منهم خيفة وعلم من ذلك أنهم من غير البشر وأن لهم شأنا غير شان ضيوف الزاد والمقام[٢] .

---

[١] انظر الفصل فى الملل والهواء والنحل لابن حزم ، حـ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢١٢ .

[٢] إبراهيم أبو الأنبياء ، عباس العقاد ، ص ٧٥ : ٧٦ .

قال تعالى : (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما راء أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف أنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناهم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشئ عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)[١] .

وقال تعالى : (فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط أن إبراهيم لحليم أواه منيب)[٢] .

(فأين هذا الكذب البارد الفاضح الذى يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل فى هذه القصة)[٣] .

حادى عشر : لم يكتف اليهود بهذا بل تحدثوا عن الخالق سبحانه بأسلوب يثير الاستغراب :

فالله سبحانه وتعالى حسب مفهومهم وكما ورد فى أحدث أسفار توراتهم المزعومة وهو سفر اللاويين يستفيد من الضحايا التى تقدم إليه وينتعش من رائحتها وهى التى تحرق أجزاؤها فى المذبح تحت إشراف أحد الولايين)[٤] ، بل أن بعض فقرات من هذا السفر

---

(١) سورة هود آية رقم ٦٩ : ٧٣ .

(٢) سورة هود آية رقم ٧٤ .

(٣) الفصل ، جـ١ ، ص ١٣١ .

(٤) اليهودية واليهود ، د / على عبد الواحد وافى ، ص ٣٧ .

لتدل على إن إلههم كان يطلب إليهم أن يقدموا أولادهم ضحايا محرقة لإرضائه والتقرب إليه وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه فى صورة غير الصورة المقررة فى شريعتهم ، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين أو غير الراعين لمواسم التقدم فيرسل عليهم نارا تحرقهم كما فعل مع ولدين من أبناء هارون لم يحسبا تقديم الضحية[١] .

وقد ورد الله على فساد اعتقادهم فقرر أن الله لا يناله شئ من لحوم الأضاحى ولا من دمائها ، وأنه قد شرع الأضحية لتكون مظهرا من مظاهر تقوى الله وامتثال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عباده وخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين قال تعالى : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين)[٢] .

ولم يكتف اليهود بهذه الشناعات الصارخة التى حشوا بها أسفارهم المقدسة بل عمدوا إلى توسيع دائرة الكذب على الوحى الإلهى عن طريق التلمود ، ولقد احتوى التلمود على كثير من الأكاذيب والمفتريات التى لا يقبلها عقل كما أنها تحمل معانى تفد فساد العقيدة وهى لا تقل فى طرحها الوقح عن نصوص العهد القديم ، من هذه المقولات :

---

[١] انظر إصحاحات سفر اللاويين وقد ورد حادث ابنى هارون فى الإصحاح العاشر من هذه السفر ، نقلا عن الأسفار المقدسة ، د / على عبد الواحد وافى ، ص ٣٩ .

[٢] سورة الحج آية رقم ٣٦ .

ما ذكره العلامة ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والـهواء والنحل) أن سفرا من أسفار التلمود يسمى (سفر توما) قد وصـف جبهة خالقهم وعظم مساحتها فقال : إنها من أعلاهما إلى أنفه خمسة آلف ذراع وأنه جاء فى سفر آخر من أسفار هذا الكتـاب يقـال لـه (سادرناشيم) أن فى رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفى إصبعه خاتم منه تضئ الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلـك التاج اسمه (صندلفون)[١] .

ومن هذه المقولات أيضا نص يتحدثون فيه عن توزيع سـاعات العمل للرب خلال اليوم يقولون فيه : (هناك اثنتا عشرة سـاعة فـى اليوم ، يشغل القدوس المبارك فى ثلاث ساعات منها بـالتوراة وفـى الساعات الثلاث التى تليها بحالكم العالم ككل وعندما يرى أنه عرضـه للتدمير يقوم عن كرسى الدينونة ويجلس على كرسى الرحمة ، وفـى الساعات الثلاث التى تليها ، يمد العالم كله بالطعام من أعظم الخلائـق إلى أصغرها وفى الساعات الثلاث الأخيرة لوياتان[٢] .

وجاء فيه : (أن الله ندم لما أنزله باليهود بالهيكل وأنه ظـل يصرخ ويقول : الويل لا لأنى تركت بيتـى ينـهب وهيكلـى يحـرق وأولادى يشتتون)[٣] .

---

[١] الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ١ ، ص ٢٢١ .

[٢] جاء فى سفر المزامير المزمور ١٠٣ ، فقرة ٢٦ ما يلى : هنـاك تجـرى السـفن لوياتان الذى خلقه لتلاعبه ـ وانظر التلمود البابلى ـ رسالة عبـدة الأوثـان ترجمـة وتقديم نبيل فياض ، ص٢٥ ط دمشق ، دار الفريد ، ط سنة ١٩٩١م .

[٣] همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٢٦ ، للأستاذ بوس حنا ، ط بيروت ، بنو إسـرائيل فى القرآن والسنة ، د / محمد سيد طنطاوى ، ص ٨٠ . ط دار الشروق .

كما جاء فيه عن اليهود قوله : (تتميز أرواح اليهود عن باقى أرواح البشر بأنها جزء من الله تعالى كما أن الابن جزء من أبيه وأنه يجب على كل يهودى أن يبذل جهده لمنع تسلط باقى الأمم فى الأرض وان اليهودى معتبر عند الله أكثر من الملائكة وأن اليهود جزء من الله فإذا ضرب أى إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية)[١] .

هذه مقتطفات من الأكاذيب والمفتريات التى امتلأ بها التلمود ، وعلى هذا النمط السافل يمضى التلمود فى استباحة الأعراض والدماء والأموال ، وتقرير الفواحش ، وأكل الربا والسرقة والغش والخداع ، ونقض العهود والمواثيق ، والغدر والتلاعب بأغلظ الإيمان ما دام الخصم أمميا (غير يهودى) .

ولا تعليق لنا على هذا الإفك المبين إلا أن نقول : سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم . وتعاليت ربنا عما يقول المجرمون علوا كبيرا .

هذه هى بعض صفات الإله فى العهد القديم ويتبين منها أن دعوه التوحيد الخالص والتنزيه المطلق للإله ــ تلك العقيدة التى جاء بها موسى ــ عليه السلام ــ كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم ، وكما تشير إلى ذلك الوصايا العشر ــ لم تبق على صفائها وسموها ونقائها عند بنى إسرائيل الذين لم يلبثوا أن انحرفوا عن هذه العقيدة فأشركوا بالله غيره وعبدوا العجل والحية وأصنام الشعوب الأخرى ووصفوا الإله بالتجسيد والتعدد والتحيز كما وصفوه بصفات البشر فهو يصارع

---

[١] الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ، ص ٤٨ وما بعدها .

ويفعل الشر ثم يندم عليه وهو يريد الشئ فيبدو له فيغير ما أراده أولاً وهو جاهل يحتاج إلى من يرشده ، وهو يأمر بالسلب والنهب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ويزعم بعض علماء الدين اليهودى أن النصوص الدالة على التجسيم والتشبيه ــ عند اليهود ليست على ظاهرها وإنما هى قابلة للتأويل ومن ثم فإن اليهود منزهون ليسوا مجسمين .

يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى ــ وهو من اليهود السامريين ــ عن السامريين : (أنهم يعبدون إلها لا يرى ولا يكيف بكيفية)[١] .

ويذكر الدكتور شمعون يوسف مويل ما نصه : (الروح الإسرائيلى من مقتضاه الإيمان بخالق مهتم بخلقه لأمورهم مباشرة وموجد لكل موجود من العدم بلا واسطة والإيمان بأن الألفاظ الواردة فى التوراة الدالة على التجسيم لم تكن سوى تعبيرات بسيطة يقصد منها تقريب المعنى المقصود من فهم العوام)[٢] .

ويحاول ابن كمونة آن يتخذ من ذلك سندا على التنزيه فيقرر : أن الناس اعترضوا على الملة اليهودية بجملة اعتراضات منها هذا الاعتراض ونصه : (إنا نجد فى التوراة التى بأيديهم مواضع كثيرة تدل على التجسيم والتشبيه وصفة الله تعالى بما يستحيل وصفه به إلى

---

[١] نقلا من كتاب الله وصفاته فى اليهودية والنحرانية والإسلام ، د / أحمد حجازى السقا ، ص ٣٥ ، ط دار النهضة العربية ، ط أولى ١٣٩٨هـ .

[٢] التلمود أصله وتسلسله وآدابه ، ص ٥٣ .

غير ذلك من الكفريات والأمور التى تستبعدها العقول بل تمنع من وقوعها فيمتنع أن يكون ذلك منزلا من الله تعالى ، وذلك مثل الإخبار بصعود موسى إلى الجبل مع مشايخ أمته فأبصروا الله هناك ، ومثل خلق آدم بصورة الله إلى غير ذلك .

وبعد أن ذكر ابن كمونة نص الاعتراضات أجاب عنه بما نصه.

وجوابه : أن النهى عن التشبيه والتمثيل مذكور فى عدة مواضع من التوراة وثانى الكلمات العشر المكتوبة على اللوحين هو النهى عن اتخاذ إله دون الله وعن الإشراك به وعن التمثيل والتشبيه والتخييل .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نلجأ إلى تأويل كل ما ورد من ذلك فى كتب سائر الأنبياء الذين على ملة موسى وفى كتب الأحبار والعلماء ، وقد وصف المتأخرون من اليهود كتبا توضح ذلك وأمثاله إيضاحا أبسط من هذا[1] .

ويمكن الرد على هذا الإدعاء وتفنيده بما يأتى :

أولاً : أن التأويل[2] له مخاطره وآفاقه ، ولهذا كان لابد له من ضوابط وشروط وقوانين تكون كفيلة بدرء مخاطره ، وقد وضح العلماء الشروط التى ينبغى مراعاتها فى التأويل فيما يلى :

---

[1] انظر تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ، ص ٣٣ ، ٣٥ ، توزيع دار الأنصار بالقاهرة

[2] يعرف ابن رشد التأويل قائلا : هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقة إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل فى ذلك بعاده لسان العرب فى التجوز من تسمية الشئ بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنة أو غير ذلك من الأشياء التى عددت فى تعريف أصناف الكلام المجازى . (انظر فصل المقال لابن رشد ، ص ١٧) .

١ ــ أن يكون صاحب التأويل عالما بلغة العرب ، لأن الجهل باللغة يؤدى إلى الخطأ فى التأويل .

٢ ــ أن يكون التأويل موافقا لما تقضيه حقيقة اللغة ومجازها.

٣ ــ لا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز إذا أمكن الحمل على الحقيقة .

٤ ــ ألا يكون التأويل شاذا .

٥ ــ ألا يقطع صاحب التأويل أنه قد عرف حقيقة هذا النص أو هذا المعنى المتشابه ، وإنما هو أمر تغليبى ترجيحى ، ومن ثم فعليه ألا يحكم بكفر من خالفوه[٢] .

فهل التزم علماء اليهود بهذه الشروط ؟

ثانيا : أننا لو قبلنا أن هناك نصوصا داخل توراتهم على ظاهرها وأن من الممكن تأويلها فأننا لا نقبل أن اليهود قد فهموها على هذا التأويل .

وفى العهد القديم والتلمود من عبارات التشبيه والتجسيم ما يبطل هذا الإدعاء خاصة أن التأويل لم يعرف فى اليهودية إلا بعد الاتصال بالفلسفة اليونانية واشتهر على يدى فيلسوفهم فيلون الإسكندرى .

وهذا ما أكده الدكتور حسن ظاظا فى قوله : (إن الفكر الدينى لدى اليهود يتسم بظاهرة وهى بقاء بابه مفتوحا على مصراعه لكل

---

[٢] انظر صون المنطق للإمام السيوطى ، ص٢٢ ، الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص ٧٣٥ ، فصل المقال لابن رشد ، ص٢١ .

ألوان التطور ، بحيث أصبح اليهودى اليوم لا يشبه ما كان عليه اليهود أيام داود وسليمان عليهما السلام ، فضلا عن أولئك الأقوام الذين عاشوا فى البداوة تحت حكم القضاة أو الرعيل الأول الذى اتبع تعاليم موسى وهارون عليهما السلام ، فالنصوص تغيرت والظروف التاريخية كذلك ، والعقائد والطقوس أيضا بحيث يجد مؤرخ الفكر اليهودى نفسه أمام عدة أديان ومجتمعات مختلفة غريبة بعضها عن بعض لا تتفق إلا فى الاسم وتدخل بسببه فى ركام متكتل)[1] .

ثالثا : إن هذا الإدعاء قد قبل بالرفض الشديد من اليهود المعاصرين لدرجة أن اتهم موسى بن ميمون وغيره بالزندقة والكفر وتم إحراق كتبه .

يؤيد هذا المعنى ما ذكره ديورانت قائلا : (إن بعض الأحبار قاوموا نزعة ابن ميمون مقاومة عنيفة ونددوا بتشكيك ابن ميمون فى عقيدة الخلود ورفضوا فكرته عن الإله غير

---

[1] الفكر الدينى الإسرائيلى ، ص ١٥٢ .

المـــراجـــع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى .

٣ ــ إظهار الحق الشـــيخ رحمـــت الله الـــهندى ، تحقيـــق وتعليـــق د / أحمد حجاز السقا ، دار التراث ط : أولى ١٩٧٨ م .

٤ ــ إفحام اليهود للسموال بن يحيـــى المغربـــى ، تحقيـــق وتعليـــق د / محمد عبد الله الشرقاوى ، ط أولـــــى ، دار الهدايـــة بالقـــاهرة ، ١٤٠٦هـــ .

٥ ــ الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة ، د / على عبد الواحد وافى ط : نهضة مصر .

٦ ــ الألوهية عند بنى إسرائيل ، د / محمد على حسن هوارى ، كلية الآداب عين شمس ، ١٩٨٣م .

٧ ــ التاريخ اليهودى العام ، د / صـــــابر طعيمـــة ، ط : دار الجيـــل بيروت ط : ثالثة ، ١٤١١هـــ .

٨ ــ التراث اليهودى الصهيونى والفكـــــر الفرويـــدى ، د / صـــبرى جرجس ، ط : عالم الكتب ، ط أولى ١٩٧٠م .

٩ ــ التراث اليهودى الصهيونى ، ط عالم الكتاب القاهرة ، ١٩٧٠م .

١٠ ــ التلمود البابلى ــ رسالة عبدة الأوثان ترجمـــة وتقديـــم نبيـــل فياض دمشق ، دار الغدير ، ط : أولى سنة ١٩٩١م .

١١ ــ التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ، ط : دار النفائس ط : ثانية ، بيروت .

١٢ ــ التوراة الهيروغليفية ، د / فؤاد حسنين على ، ط : دار الكتاب العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٣ ــ التوراة والإنجيل والقرآن والعلوم موريس بوكاى ، ترجمة نخبة من الأساتذة بيروت ، دار الكندى ، ط : أولى ١٩٧٨م .

١٤ ــ العرب واليهود فى التاريخ ، د / أحمد سوسة ، ط : دمشق العربى للإعلان والنشر ، ط : ٧ بدون تاريخ .

١٥ ــ الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم تحقيق ، د / عبد الرحمن عميرة ، ط : دار الجيل بيروت .

١٦ ــ الفكر الدينى أطواره ومذاهبه ، د / حسن ظاظا ، ط : دار القلم دمشق ، ط : ثانية ، ١٤٠٧هـ .

١٧ ــ الكنز المرصود ترجمة د / يوسف نصر الله ، ط : دار العلوم بيروت ط : أولى ١٩٨٧م .

١٨ ــ الله وصفاته فى اليهودية والنصرانية والإسلام ، د / أحمد حجازى السقا ، دار النهضة العربية .

١٩ ــ المدخل إلى الكتاب المقدس ، د / حبيب سعيد ، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، ط : المطبعة الفنية الحديثة

٢٠ ــ الملل والنحل للأستاذ أمين الخولى .

٢١ ــ الملل والنحل للشهرستانى ، تحقيق محمد سيد كيلانى ط : بيروت دار المعرفة .

٢٢ ــ الموسوعة الفلسطينية القسم الثانى الدراسات الخاصة بيروت ط : أولى ١٩٩٠م .

٢٣ ــ الموسوعة الفلسطينية ، ط دمشق ، ط : أولى سنة ١٩٨٤م .

٢٤ ــ الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، د / عبد المنعم الحفنى ط : مكتبة مدبولى القاهرة ، ط أولى ١٩٨٠م .

٢٥ ــ اليهود فى التاريخ إلى عهد المسيح عبود القس بولس يافا سنة ١٩٢٠م .

٢٦ ــ اليهودية واليهود ، د / على عبد الواحد وافى ، ط : نهضة مصر .

٢٧ ــ اليهودية ، د / احمد شلبى ، ط : مكتبة النهضة المصرية ط : سادسة ١٩٨٢م .

٢٨ ــ تأثر بالأديان الوثنية ، د / فتحى الزغبى ، ط : البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، ط : أولى ١٤١٤هـ .

٢٩ ــ تاريخ العرب قبل الإسلام ، د / جواد على ، ط : المجمع العلمى العراقى .

٣٠ ــ تاريخ اللغات السامية ــ إسرائيل ولفنسون ، ط : دار القلم لبنان ط أولى ١٩٨٠م .

٣١ ــ تفسير البيضاوى ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : أولى ١٤٠٨هـ .

٣٢ ــ تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا ، ط : الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣م .

٣٣ ــ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث ، لابن كمونة توزيع دار الأنصار القاهرة .

٣٤ ــ جذور الفكر اليهودى .

٣٥ ــ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد ، ط : نهضة مصر بدون تاريخ .

٣٦ ــ دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى .

٣٧ ــ شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية .

٣٨ ــ على التوراة للباجى ، تحيق ، د / احمد حجازى السقا ، دار الأنصار القاهرة ، ط : أولى ١٤٠٠هـ .

٣٩ ــ فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد

٤٠ ــ فضائح التلمود ، إعداد زهدى الفاتح ، ط : دار النفائس بيروت ط : ثالثة ، ١٩٨٥م .

٤١ ــ فلسطين بين الحقائق والأباطيل مهندس أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبة القاهرة ، ط : أولى ١٣٩٢هـ .

٤٢ ــ فيصل التفرقة من مجموعة رسائل الإمام الغزالى .

٤٣ ــ قاموس الكتاب المقدس ، تحرير د / بطرس عبد الملك وآخرين بيروت ، صدر عن مجمع كنائس الشرق الأدنى ، ط: ثانية ١٩٧١م .

٤٤ ــ قصة الحضارة ول يورانت ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٧١م .

٤٥ ــ كتاب التوحيد وإثبات الصفات لابن جزيمة ، ط : دار الكتب العلمية بيروت .

٤٦ ــ لسان العرب لابن منظور .

٤٧ ــ مصر والشرق الأدنى القديم ، د / نجيب ميخائيل إبراهيم ، ط : دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

٤٨ ــ معجم اللاهوت الكتابى ، ط بيروت دار المشرق ، ط : سنة ١٩٨٦م .

٤٩ ــ مفاتيح الغيب للإمام الرازى ، ط : دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١٥هـ .

٥٠ ــ مناهج الأدلة لابن رشد ، تحقيق ، د / محمود هاشم .

٥١ ــ همجية التعاليم الصهيونية للأستاذ بولس حنا ، ط : منشورات المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٦٩م .

٥٢ ــ هيكل سليمان أو الوطن القومى اليهودى الحاج يوسف لا بد نشر بدون تاريخ .

٥٣ ــ الكتاب المقدس .